فلسفة الإبادة

تسمم اليهود بديانة الهولوكوست

صحيح أن لليهود أساطيرهم التوراتية الخاصة، لكنهم حين لقّنوا أسطورة الهولوكوست ليهود العالم ولأفراد شعوب العالم الآخرين بغية الاستفادة من الوضع القائم، كانوا يسمّمون اليهود أنفسهم بتلك العقيدة الخرافية الأسطورية، ويخدعون اليهود قبل غيرهم، ويسيئون لليهودية نفسها ويسيئون للشعب اليهودي كله، بل إنهم عندما أرادوا تسميم العالم بأسطورة الهولوكوست، تجرّعوا هم السمّ نفسه. ولأن تسميم الشعوب الأخرىٰ لن يدوم وسيعود كل فرد لتصحيح عقيدته وإفراغها من سمّ الهولوكوست، فإن اليهود لن يستطيعوا بسهولة التخلص من ذلك التسمم العقيدي الذي انتشر في أجسادهم وأذهانهم إلىٰ أبعد الحدود، والذي شوّه عقيدتهم إلىٰ الأبد.

وإن السلاح الذي مازالت إسرائيل تستخدمه منذ قيام دولتها الأكذوبة، سوف يصبح هشاً شيئاً فشيئاً وسوف يتلاشىٰ خلال مدة لن تتجاوز العشر سنوات القادمة. وهانحن حين نكتب ونحلل ونكتشف خفايا تلك الأسطورة ، وأنتم أعزائنا القراء والباحثين عن الحقيقة عندما تقتنعون بهذه الأبحاث تساهمون في القضاء نهائياً علىٰ أسطورة الصهيونية، وتحصّنون أنفسكم من التسمم بديانة الهولوكوست التي بنيت علىٰ شيء واحد هو الوهم اليهودي المتطرف. وتساهمون في تحطيم الأسس التي بنيت

عليها دولة إسرائيل وستزول تلك الدولة من الوجود.

وسيبقىٰ يهود العالم لمدة طويلة يعانون ويتألمون من التسمم العقيدي الذي فرضه عليهم قسم متطرف من اليهود. وإن شعوب العالم ستتخلص بسهولة وخلال سنوات قليلة من التسمم بشريعة المحرقة، لأن تلك الشريعة بعيدة عن عقائدهم، لكن اليهود شوّهوا ديانتهم من جديد حين أضيفت إليها أسطورة الإبادة الحديثة. ولأن هذا التسمم الجديد يرتبط بعقيدتهم القديمة فإنه لمن العسير علىٰ اليهود أن يتخلصوا من ذلك التشوه العقيدي وأن ينتزعوا من أذهانهم أسطورة الإبادة الجديدة.

الشذوذ الجنسي والمحرقة

إن ربط الشذوذ الجنسي بالهوية اليهودية وبالهولوكوست تصدم القارئ العربي، ولكن علينا أن ندرك ما هو مقدَّس وما هو مدنَّس في الخطاب اليهودي فالهولوكوست أيقونة مقدَّسة بفضل منافعها عند اليهود. والشذوذ أمر عادي ومحبب، بل أصبح أمراً له قداسته الخاصة عند بعضهم.

وداخل الخطاب الحضاري الغربي، جرىٰ ربط الشذوذ الجنسي بما يعتبرونه مقدسات يهودية . حيث صوّر الروائي الأمريكي اليهودي ليف روفائيل شخصية تربط بين الشذوذ الجنسي والمحرقة والانتماء اليهودي، فبطل إحدىٰ رواياته يهودي يخاف من تأكيد الأبعاد الثلاثة لهويته: هويته اليهودية، وهويته كشاذ جنسي، وهويته كأحد ضحايا الهولوكوست. فيقوم صديقه الذي يعيش معه بتشجيعه علىٰ تجاوز مخاوفه الثلاث ويقنعه بعدم وجود تناقض بين الانتماءات الثلاث.

ومنذ سنوات عديدة أُقيم مؤتمر للشواذ والسحاقيات في إسرائيل، وأقام أعضاء المؤتمر صلاة القاديش اليهودية في نصب ياد فاشيم لرحمة الشواذ جنسياً والسحاقيات ممن سقطوا ضحايا للاضطهاد النازي.هذه بعض من الشواهد التي استطعنا جمعها والتي يربطها اليهود بالإبادة، ولاشك فإننا لم نصل إلىٰ شواهد أخرىٰ قد تكون أخطر

وأغرب مما وصلنا. وقد ذكرنا بأن تلقين عقيدة المحرقة والإبادة لم تكن سوىٰ تسميم للشعب اليهودي نفسه قبل غيره، وهنا يظهر لدينا دليلاً آخر علىٰ صحة ذلك:

ترسيخ الإبادة في عقول الإسرائيليين

إنّ أفضل وصف يمكن أن يقال عما يفعله اليهود بأسطورة الإبادة وتسخيرها هو الوصف الرباني لهم الذي جاء في القرآن الكريم، يقول الله سبحانه وتعالىٰ في سورة البقرة:

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة.2/ 102].

فهم يعتقدون بأنهم في إذاعة تلك الأكاذيب وتثبيتها في عقول اليهود سيحققون مكاسب كبيرة ويكونون قد اشتروا أنفسهم بها، واشتروا دولة صهيونية بثمن الأكذوبة. لكنها كانت عليهم وبالاً جديداً زادهم مرضاً وفسقاً وإيلاماً. وتدلّنا الآية الكريمة أيضاً علىٰ أن اليهود اعتادوا من قبل أن يشتروا أنفسهم بأضاليل وأكاذيب وحججٍ فاسقة وفاسدة.

لقد نجح الصهاينة في ترسيخ واقعة الإبادة النازية ليهود أوربا في وجدان الأغلبية العظمىٰ من الإسرائيلين. فالصحف لا تكفّ عن الكتابة عنها. وهناك يوم محدَّد لإحياء ذكرىٰ الإبادة يُسمَّىٰ يوم الذكرىٰ وبالعبرية هازكرون. ويقع في يوم 4 شباط من كل عام، ويبدأ الاحتفال بإطلاق صفارة إنذار في كل أنحاء الدولة في مغرب اليوم السابق فتُنكس الأعلام، وتُغلَق دور اللهو بأمر القانون، وتُقام الصلوات في المعابد اليهودية وتُوقد الشموع فيها، كما تُعلن صفارات الإنذار في الصباح عن دقيقتين حداداً يتوقف فيهما النشاط تماماً في الدولة الصهيونية بكاملها. ثم تُطلَق صفارة إنذار أخرىٰ للإعلان عن انتهاء اليوم وبداية عيد الاستقلال.

وتعمل إسرائيل باستمرار علىٰ دعم المعتقدات المتعلقة بالإبادة واستمرار ترسيخها في إسرائيل وفي العالم كله، وأثناء الاحتفال بذكرىٰ المحرقة في العام 2007 قالت وزيرة خارجية الصهاينة: «**إن ذكرىٰ المحرقة ضرورية للمجتمع الدولي بأكمله وليس فقط**

لإسرائيل،» ولترسيخ عقيدة المحرقة والاستفادة منها قال شمعون بيريس: «إن رئيس إيران أحمدي نجاد يحضّر إلىٰ القيام بمحرقة جديدة ضد اليهود» وإن مثل هذا التصريح يركّز علىٰ ترسيخ عقيدة الإبادة عند اليهود، وعلىٰ الاستمرار بالاستفادة منها.

وقد لاحَظ الفيلسوف الديني الإسرائيلي اليهودي يشياهو لابيوفيتش أن الاحتفال بيوم الذكرىٰ يزداد حدة عاماً بعد عام لأن قائمة أسماء الضحايا تزداد يوماً بعد يوم. بل تؤكد بعض الأبحاث الإسرائيلية أن شبح الكارثة لا يزال منعكساً وجاثماً علىٰ عقل الإسرائيليين من الجيل الثاني.

وفي استطلاعات للرأي حول الإبادة المزعومة يرىٰ واحد وستون بالمائة من الإسرائيليين أن الكارثة كانت عنصراً أساسياً من عناصر قيام الدولة الإسرائيلية والمسوغ الأساسي له. ويعتقد اثنان وستون بالمائة أن قيام الدولة الإسرائيلية يمنع حدوث كارثة مماثلة في المستقبل. وإن رسوخ الإبادة في عقول الإسرائيليين ليس سوىٰ حالة تسمم أفسدت عقولهم ونفوسهم، ولن تعود عليهم إلّا بالأضرار والهلاك. وأن ما حدث بهم في هذا العصر هو نفسه الذي حدث لليهود في زمن الأنبياء حين قاموا بتبديل عبادتهم من شريعة الله التي أتىٰ بها أنبياؤهم إلىٰ شريعة العجل وتقديسه وحرقه، وقد نزلت فيهم الآية القرآنية الكريمة التي تصف حالة تشربهم لعقيدة العجل، أي أن مفسديهم مارسوا عليهم طريقة تلقين قوية أدت إلىٰ تشربهم العجل فأصبحت عبادته راسخة في أذهانهم وعقولهم ودمائهم وداخل صدورهم. وفي هذا العصر قام مفسدوهم أيضاً بفعل الشيء نفسه فوصلوا بهم إلىٰ عبادة المحرقة وتأليه الإبادة وتقديس آوشفيتز.

يقول الله تعالىٰ في سورة البقرة:

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة2/ 93]

وجدير بالذكر أنه في السنوات الأخيرة كثرت ظاهرة تحول يهود إسرائيل إلىٰ

المسيحية، الأمر الذي أقلق حاخامات إسرائيل وصهاينتها، وهذا التحول يدل على عدم اقتناع اليهود أنفسهم بالعقيدة العنصرية التي تؤدي بحاملها إلى الانغلاق والتكوير على الذات والإصابة بالعقد النفسية والأمراض العقلية. وبتاريخ 7 شباط 2007 تحدثت صحيفة معاريف الصهيونية عن ظاهرة تحول يهود الفلاشا إلى المسيحية. وهؤلاء الذين استقدمتهم إسرائيل من أثيوبيا بهدف زيادة عدد اليهود، ولم يجد الصهاينة بداً من إيقاف حركة التحول هذه. فدعى حاخامات ومسؤولين صهاينة إلى إيقاف استقطاب المهاجرين من أثيوبيا.

مرض الإبادة

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة.2/ 102].

لم يكتف الصهاينة بأنهم اشتروا أنفسهم بعقيدة الإبادة بل إنهم والويل لهم من أفعالهم يستمرون في ترسيخ الإبادة وتعميمها وتثبيتها في عقول اليهود، الأمر الذي يرسّخ فيهم الرعب والخوف من الآخر ويجعل ذلك الرعب مرضاً نفسياً حقيقياً.

مما لا شك فيه أن الإحساس بخطر الإبادة إحساس حقيقي متجذر في الوجدان الإسرائيلي. ولكننا نذهب إلى أن أساسه الحقيقي يتأتى من عناصر عديدة وهي:

إن في إسرائيل قسمين من المواطنين:

القسم الأول وهو الذي يدرك أبعاد الأكذوبة وأبعاد الاستفادة منها، وهؤلاء يدركون بأنهم بنوا دولة زائفة من كافة نواحيها اعتماداً على أكذوبة وخديعة كبيرة، وهم بلا شك يخشون باستمرار من أن يلاقوا عاقبة تلك الخديعة، وبالوقت نفسه يخشون من عقاب الفلسطينيين والعرب والمسلمين لهم. وهؤلاء سيظلّون يعانوا من عقدة الأكذوبة ومانتج عنها وماسينتج عنها في المستقبل. فإن أي عاقل يتنبأ بأن تلك الأكذوبة لن تدوم ، وأن خداع العالم كله لن يستمر. وأن الحياة اليومية للإسرائيلي مستمرة في الخوف

والقلق وهذا القلق يشمل:

1. **قلق العقاب**: وذلك يشمل قلقهم من عقاب العالم المسيحي لهم لأنهم خدعوه وقلقهم من انتقام الفلسطينيين لأنهم اغتصبوا أرضهم وأبادوا قسماً من شعبهم.
2. **وقلق الانتقام**: ويعني قلقهم من انتقام الآخرين منهم وذلك نتيجة لأعمالهم وأكاذيبهم التي ضللت الشعوب وقتلت وأبادت الكثير.
3. **قلق الحاضر**: لأن القلق يعيش معهم في كل لحظة يعيشونها، ولأنهم في كل لحظة يخشون العقاب والموت.
4. **قلق المستقبل**: نعتقد أنه لا يوجد إسرائيلي واحد مطمئن علىٰ مستقبل إسرائيل كلها وعلىٰ مستقبل اليهود، فإن القاعدة والمبدأ الثابت الذي ينطبق علىٰ تلك الدولة وشعبها هو(ما بني علىٰ باطل فهو باطل)
5. **وقلق الموت في كل لحظة**: لو أن إسرائيل قد قامت في منطقة أخرىٰ من العالم لكانت ستشعر بالراحة وربما بالسلام الدائم لكن لحسن حظ العرب والمسلمين أنهم لا يسكتون علىٰ ضيم ولا يرضخون للذل ولا يقبلون الاحتلال واغتصاب الأرض، ولذلك فإن إسرائيل والصهاينة كلهم يخشون الموت في أية لحظة. فمن حسن حظ أرض فلسطين أن المدافعين عنها يعادلون مليارين من البشر، والمقاتلين الحقيقيين ضد الصهيونية يزدادون في كل يوم.

والقسم الثاني من الإسرائيليين هم الذين تم خداعهم واعتقدوا بحدوث الإبادة، ورغم اعتقادهم بتحقيق مكاسب كبيرة بفضل الإبادة فهم يمتلكون عقداً كبيرة لن تزول عن نفوسهم وتلك تجعلهم يشعرون ضمناً بأنهم شعب مهزوم ومكروه ومنفي من أوروبا. وشعب رغب العالم كله بطرده وإبادته وتهجيره. وشعب تخلّىٰ عنه الرب (حسب التفسير اليهودي للإبادة) وتركه يواجه أبشع مصير عرفته كل الشعوب وفي كل الأزمنة. وشعب ظل طوال إقامته في الدولة المغتصبة يتعرض للقتل والهجمات والتهديد. وهذا الوضع يجعل الصهيوني اليهودي في حالة مرضية كبيرة.

ولن يمتلك خلالها أي شعور بالراحة والأمان أو السعادة. إذ لا سعادة ولا راحة لشخص يدرك بأنه من أمة أبيدت وأحرقت وأفنيت وتحولت إلىٰ رماد. ولا يشعر شخص بالكرامة وصواب العقل إذا كان يعتقد بأن آباءه وأجداده أحرقوا وكانوا قرباناً للرب وأن الرب نفسه أحرق معهم وزال عن شعبه. ومما يزيد في ترسيخ تلك الأمراض والعقد تصريحات الصهاينة أنفسهم والتي تتنبأ بمحرقة أخرىٰ، فقد أعلن شيمون بيريس بأن الرئيس الإيراني يحضر إلىٰ هولوكوست جديد وإبادة ثانية ليهود إسرائيل. وفي المجتمع الصهيوني نفسه اشتهرت أغنية لامعة لإحدى الفرق الفنية الإسرائيلية وصارت تسمع وتردد في كافة الأوساط والإذاعات المحلية، وتقول كلماتها: «**اضغط علىٰ الزر دمر إسرائيل بالقنبلة النووية الإيرانية**» وهذه الأغنية تعكس حالة القلق الدائم عند الإسرائيليين.

عقدة فقدان الشرعية: وإنّ الطبيعة الاستيطانية للتجمع الصهيوني الذي لم يضرب بجذوره في المنطقة، والذي لن يقدر علىٰ الإطلاق علىٰ إيقاف النضال الفلسطيني. وبخاصة أن أصحاب الأرض الأصليين لم تتم إبادتهم وثبت للصهاينة بأن ذلك غير ممكن علىٰ الإطلاق،وأنهم لم يكفّوا عن المقاومة مطلقاً، الأمر الذي يخلق عند الإسرائيليين ما نسميه «**عقدة فقدان الشرعية**» وتتمثّل بالقلق والخوف الدائم من عودة صاحب الأرض الذي يؤكد حضوره علىٰ كذبهم. فيتضح بأن زعمهم بأن فلسطين أرض بلا شعب كان زعماً كاذباً، بل إنه سيؤدي إلىٰ غيابهم في نهاية الأمر. ولكن بدلاً من أن يواجه المستوطنون حقيقة وضعهم كمستوطنين ومغتصبين للأرض، فإنهم يتجاهلونها ويفرضون عليها التفسير اليهودي الصهيوني الذي يبرر لهم كشعب يهودي حق الإقامة في أرض فلسطين. لكن هذا المبرر لا يمنع من ظهور إدراك حقيقي ووعي للمشكلة ، الأمر الذي سيُفقدهم ثقتهم بأنفسهم وإحساسهم بشرعية وجودهم وأخلاقيته، وبالتالي ستتعمق العقد في نفوسهم. أما التفسير الصهيوني لاغتصاب فلسطين فسيسبغ عليهم المزيد من الشرعية اليهودية وسيزيد

إصرارهم علىٰ حقهم في البقاء وسيحاولون إبادة كل من يقف في طريقهم إبادة شاملة لا هوادة فيها. ومن هنا كان حرص إسرائيل في بداية نشوئها كدولة علىٰ امتلاك القنبلة الذرية؛ وعلىٰ التلويح باستخدامها عند الضرورة، فقد صرّح ايهود باراك من ألمانيا بأن إسرائيل تمتلك القنبلة الذرية وأنها قد تستخدمها عند الضرورة.

وعندما تجتمع عقدة الإبادة وعقدة عدم الشرعية في نفوس الصهاينة يصبح الفرد مهدداً دائماً وأبداً بالإبادة والفناء. وفي هذه الحال ستستمر الحروب ويستمر الخوف اليهودي، وتزداد وتتراكم العقد المرضية في نفوس الصهاينة. وقد لاحظ بعض التربويين الصهاينة أن هذا التركيز علىٰ فكرة الإبادة، كفكرة رئيسة في وجدان أعضاء الجماعات اليهودية داخل وخارج إسرائيل، يسبب لهم مشاكل نفسية عميقة، إذ لا يمكن أن يعيش الإنسان حياة نفسية سوية، وسط بلاد العالم أو بين أحد الشعوب، وهو يعتقد أنهم قد يبيدونه تماماً في أية لحظة وأنه هو الضحية الوحيدة بينهم. ولذا، بدأت ترتفع أصوات للتحذير من خطورة هذا الاتجاه. ولكن الصهيونية عقيدة تستند شرعيتها وأحقيتها إلىٰ الكوارث التي حاقت باليهود في الماضي والتي قد تحيق بهم في المستقبل، ومن ثم، فإن أية رؤية مُركَّبة للتاريخ تسحب هذه الشرعية منها. وعلىٰ هذا، فليس من المتوقع أن يتغيَّر هذا الاتجاه داخل الصهيونية اليهودية في القريب. بل إن ما نتوقعه خلال العقد القادم هو أن تنكشف أكاذيب ومزاعم الصهيونية للعالم كله، وهذا ما بدأ يحدث فعلاً داخل المجتمعات الغربية، ولم يبق له إلّا أن يصل إلىٰ قيادات الأحزاب والكيانات الحاكمة وعندئذ سيزول كل الدعم الذي يقدم لإسرائيل ثم يزول الكيان الصهيوني نفسه بعد أن تتم تعريته ونبذه.

وأثناء كتابة هذه السطور أعلن في الولايات المتحدة عن تحذيرات أعضاء في الكونغرس للرئيس جورج بوش من خوض معركة ضد إيران. وطلب منه أن يسحب قواته من العراق. علماً بأن خوض الأمريكيين معارك في المنطقة كلها إنما جاء ليحمي الدولة الصهيونية العبرية من العرب والمسلمين وأهمهم إيران وسورية. وإن تلك

الأصوات التي انطلقت في الكونغرس الأمريكي تعني بطريقة ما عدم استمرار التهور الأمريكي سعياً لنصرة إسرائيل. وبالأمس (47) أدرجت صحيفة هاآريتس الصهيونية دراسة تبين منها تزايد نسبة العداء لليهودية في أوروبا بنسبة 10 ٪ وهذه نسبة زيادة جديدة حصلت خلال العام 2006 ومما لاشك فيه بأن كافة هذه الأحداث تعمّق في الذهن الإسرائيلي عقدة عدم الشرعية ومنها يزداد أرقه ومرضه.ومن هنا تأتي أهمية نضالنا ومراهنتها في هذا الاتجاه الذي يدمّر الصهيونية من الداخل.

ويذكر بأن عقدة عدم الشرعية بوجود إسرائيل كلها تزداد باستمرار وترتفع نسبتها في أوساط المجتمع الصهيوني. فالمستوطنون الجدد والذين يبلغ تعدداهم حوالي ثلاثة ملايين وأكثرهم من مسيحيي أفريقيا والاتحاد السوفييتي السابق، هؤلاء يميلون إلىٰ الاعتقاد بعدم شرعية وجود دولة صهيونية في أرض عربية مغتصبة، بل إنهم يتبرؤون من كافة العقائد والمزاعم الصهيونية واليهودية، وسيكونون في المستقبل ولاشك في ذلك عنصراً فتاكاً للكيان الصهيوني من داخل جسده.

الإبادة عقاب من الرب

إن تصدير أكذوبة الإبادة كان يحمل في طياته معنىٰ ومغزىٰ تلك الأحداث بمفهوم ديني يهودي، ونلخص هذا المفهوم بالنقاط التالية:

1 – الإبادة هي عقاب من رب اليهود لليهود أنفسهم، إن نصوص العهد القديم تحمل حوارات بين رب اليهود واليهود أنفسهم ، وتلك الحوارات والعلاقة كلها مبنية علىٰ أسس تقول: إن فساد الجماعة اليهودية يسبب غضب ربها عليها وبالتالي إحلال المصائب بها. وان كل الشرور والبلايا والمصائب التي تنزل باليهود إنما هي جاءت كعقاب إلهي لهم.

وعلىٰ هذا تكون أكذوبة الإبادة عقاب من رب اليهود لليهود وقد حلت الإبادة بهم لأنهم خرجوا عن تعاليم الرب.وكثيرة هي النصوص التي تتحدث عن العقاب في

العهد القديم، ونأخذ هذا النص: «.. 1 ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشرّ في عيني الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة..» سفر القضاة، الإصحاح الثالث عشر.

2 – بعد أن عاقبهم الرب ستكون لهم المكافأة لأنهم تابوا عن الأخطاء وجاءت من رب اليهود مكافأة كبيرة لشعبه اليهودي وهي قيام دولة إسرائيل وعودة اليهود إلىٰ فلسطين (حسب المفهوم اليهودي). وهذه المكافأة تحدثت عنها نصوص العهد القديم مئات المرات: «20 ولكن يهوذا تسكن إلىٰ الأبد وأورشليم إلىٰ دور فدور. 21 وأبرىء دمهم الذي لم أبرئه والرب يسكن في صهيون» سفر يوئيل، الإصحاح الثالث.

والإبادة رغم كونها عقاب من الرب فهي في الوقت نفسه مكافأة من الرب لشعبه اليهودي وهي تحقيق صادق لوعده الذي ضربه لهم منذ القديم وهاهو يحقق وعده ويسكن شعبه في أرض الميعاد. والعقل اليهودي يرىٰ المتناقضات في كثير من الشروح والتحليلات، وكل متناقضة تصادفه يعيدها إلىٰ التقديس الرباني فيمكن فهمها علىٰ أنها أيقونة مقدسة. وبتقديسها يمكن التملص من الإتيان ببرهان يتقبله العقل البشري المتلقي.

تصدير المعنى والمغزى

مع تصدير أكذوبة الإبادة كان اليهود يصدّرون المعنىٰ والمغزىٰ اليهودي الذي تحمله تلك الأسطورة. وكان هذا التصدير يحدث بين طرفين وهما المصدّر والمستقبل (المرسل والمستقبل)

– إن مصدّر الأكذوبة ومصدّر المغزىٰ اليهودي الذي تحمله هم متطرفون يهود تحالفوا آنذاك ضمن نطاق المؤتمر الصهيوني العالمي.

- وإن مستقبل تلك المزاعم كان رب اليهود حسب الاعتقاد اليهودي، فقد تم تصدير الأكذوبة إليه لكي يقتنع بتسيير أمورهم في إقامة دولة إسرائيل وتهجير يهود أوروبا إليها.

وإن المستقبل الثاني لتلك المزاعم كان يهود العالم كلهم بالدرجة الأولىٰ، فذلك يجبذهم دينياً علىٰ الاعتقاد بحدوث عقاب إلهي لليهود وهو الإبادة، وبأن يوم الميعاد ويوم حدوث الوعد الذي قطعه الرب لشعبه اليهودي إنما هو يحصل، وذلك يوجب عليهم العودة إلىٰ أرض الميعاد.

والمستقبل الثالث لذلك التصدير هو حكّام وشعوب العالم كله. والحكام أنفسهم كانوا في الوقت نفسه مستقبلين للأكذوبة ومصدّرين لها أي أنهم مارسوا دوراً مضاعفاً عن دور اليهود المتطرفين أنفسهم. وهؤلاء (الحكّام والشعوب) خاطبتهم الصهيونية بنزعتين اثنتين أيضاً وهما :

- النزعة السياسية وكانت تقول بحدوث ظلم وإبادة لليهود وهذا يتطلب إقامة دولة لهم في فلسطين.
- والنزعة الدينية والتي كانت تقول بأن الشعب اليهودي المظلوم قد تعرّض للإبادة بسبب ديانته السماوية، وإن قسماً من أتباع المسيحية الغربية هم الذين أبادوا اليهود فلابد للمسيحية الغربية من تعويضهم بإقامة دولة دينية لهم في أرض خرجت منها ديانتهم. ولابد أيضاً من تعويضهم بأموال عن ضحاياهم.

القيامة الآن

كلما حلّت في العالم والمصائر والبلدان أحداثاً مرعبة كالأهوال والحروب والزلازل يخرج قسم من المجتهدين ويقول بأن تلك علائم القيامة وأن ذلك هو اليوم الموعود، وهذا مثال أتينا به لنشرح حالة اليهود الذين شهدوا أحداث الحرب العالمية الثانية، ففي تلك الأيام المرعبة وفي وسط ذلك الدمار والقتل الكبير، كان من الطبيعي

أن تخرج من أفواه كل المواطنين الذين يشهدون الأهوال عبارة تقول (هذه هي الجحيم) و (هذا هو اليوم الموعود). بل إننا في الأفلام السينمائية نسمع تكراراً لتلك العبارات، ونستدل منها علىٰ أن التفوه بها أمر ممكن وجائز.

ولعلّ اليهود هم وحدهم الذين بالغوا في التعبير عن ذلك اليوم الهائل فنطق بعضهم في زمن الحرب بعبارات مهولة وقالوا: «**هذه ألواح صابون من الدهن اليهودي**» وإن تلك المقولة لم تكن سوىٰ تعبير عن يوم الجحيم ويوم الفناء. لكن الذهن اليهودي وهو الأكثر تطرفاً، وهو الذي يسعىٰ لأن يكون دوماً الأكثر تطرفاً، ذلك الذهن تمادىٰ، وبسبب تخلّفه وتطرفه وعنصريته، في التعبير عن الأهوال وجعلها قيامة حقيقية وجعلها يوم غضب الرب علىٰ اليهود ويوم حلول العقاب للشعب اليهودي بسبب فساده وخروجه عن طاعة الرب، وبالوقت نفسه عمل العقل اليهودي علىٰ تصدير كل تلك المفاهيم إلىٰ الرب نفسه وإلىٰ اليهود وإلىٰ أذهان شعوب العالم كله. فكانت تلك أكذوبة الإبادة. ومن المفيد هنا أن نذكر بأن العقل اليهودي كان متأهباً للقيام بمشروع كبير، وكان مشحوناً بفكر علماني وعنصري جديد بدأ يطرح ويتشكل قبل قرن من الزمن علىٰ أيدي الحاخامات والمفكرين الألمان والفلاسفة اليهود. وقد أدىٰ ذلك الاحتضار إلىٰ صدور المشروع الديني اليهودي الجديد مصاحباً لمشروع الإبادة وملازماً له ومعتمداً عليه كلياً، فكان مجموع ذلك كله مشروعاً يهودياً واحداً يرسم مستقبل اليهود وعقيدتهم الجديدة وسياستهم العامة. لقد جعل اليهود من الإبادة حدثاً عظيماً ورهيباً لأنهم كانوا مقبلين علىٰ مشروع خطير ومهول، وهو احتلال فلسطين وانتزاع وطن من شعبه، ومحاولة إبادة هذا الشعب.

يوم الميعاد اليهودي

في النص التالي وصف ليوم يهودي يشبه يوم القيامة عند المسلمين،لكن لهذا اليوم معاني يهودية عنصرية، نتبينها في النص:

فلأجل يوم الميعاد اليهودي المقدس هذا يتسلح كل اليهود ويتأهبون للحرب، وهذا ما تفعله إسرائيل منذ نشأتها، وإن عبارة **ليقل الضعيف بطل أنا** تعني أنه علىٰ كل يهودي أن يدّعي بأنه قوي جداً وبطل الأبطال، وهذا ما تفعله إسرائيل حين تمجّد جنودها، وفي ذاك اليوم (حسب النص) فإنّ الرب يحصّن بني إسرائيل. وتصبح القدس لليهود أبداً ولن يدخلها بعد ذلك اليوم أي غريب . وتتهدم مصر كلها وتتهدم البلدان غير اليهودية ويفنىٰ شعبها.

لكن القدس تحيا إلىٰ الأبد ويتمجّد اليهود فيها.ويومئذ يعدهم الرب بأن يبرئ دم اليهود الذي لم يبرئه من قبل ذلك اليوم. ويسكن الرب معهم في منطقة صهيون. «.. 9 **قدسوا حرباً أنهضوا الأبطال ليتقدم ويصعد كل رجال الحرب. 10 اطبعوا سكاتكم سيوفاً ومناجلكم رماحاً. ليقل الضعيف بطل أنا... 14 جماهير جماهير في وادي القضاء. لأن يوم الرب قريب في وادي القضاء. 15 الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجز لمعانها. 16 والرب من صهيون يزمجر ومن أورشليم يعطي صوته فترجف السماء والأرض، ولكن الرب ملجأ لشعبه وحصن لبني إسرائيل. 17 فتعرفون أني أنا الرب إلهكم ساكنا في صهيون جبل قدسي وتكون أورشليم مقدّسة ولا يجتاز فيها الأعاجم في ما بعد. 18 ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيراً والتلال تفيض لبناً وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماء ومن بيت الرب يخرج ينبوع ويسقي وادي السنط. 19 مصر تصير خراباً وأدوم تصير قفراً خرباً من أجل ظلمهم لبني يهوذا الذين سفكوا دماً بريئاً في أرضهم. 20 ولكن يهوذا تسكن إلىٰ الأبد وأورشليم إلىٰ دور فدور. 21 وأبرئ دمهم الذي لم أبرئه والرب يسكن في صهيون**» عن سفر يوئيل، الإصحاح الثالث.

كان مشروع هجرة اليهود إلىٰ فلسطين قائماً قبل أن تحلّ الحرب الثانية، وكان الذهن اليهودي متأهباً من ناحية العقيدة الدينية لتحقيق مشروع العودة إلىٰ أرض الميعاد. وبالوقت نفسه فإن تحقيق وعد الرب كان يشترط علىٰ اليهود أنفسهم شروطاً كثيرة. فلابد لهم من توبة ولابدّ من العودة إلىٰ مشروع الرب،ولابد من تحقيق

النبوءات والأهوال التي ذكرت في نصوص العهد القديم. وبالوقت نفسه لابد من إيجاد مبرر للرب الذي يعتقدون به ومبرر آخر للشعب اليهودي نفسه.

وإن بعض نبوءات هذا النص شخّصها اليهود في صور الدمار والهلاك وتداعي الأمم في زمن الحرب الثانية، ولمّا بقي لهم مبرر منهم أنفسهم، ابتدعوا أساطير الإبادة التي بواسطتها أكملوا شروط العودة وشروط الرب. وشروط النص التوراتي. ومن هنا نكتشف بأن أساطير الإبادة كانت بالدرجة الأولىٰ حاجة دينية يهودية. وكانت مطلباً يهودياً وشرطاً يهودياً لإكمال مخطط العودة إلىٰ أرض الميعاد.

أي أن أكذوبة الإبادة صنعها اليهود لأنفسهم ولحاجة دينية وشرعية عندهم، ولم يصنعوها لأجل الآخر، وبالوقت نفسه اعتبروها واحدة من خصائص الشعب اليهودي ومن عقائده، وتحت تلك الذريعة فرضوا علىٰ الآخرين عدم التدخل بشأن يهودي يتعلق بالعقيدة والشريعة، وطالبوا باتهام كل مخالف لشريعتهم تلك باللاسامية والعنصرية والطائفية الدينية.

وإن سكوت حكام الدول المنتصرة يجعلنا نشك بأن بعضهم ربما كان يهودياً بشكل من الأشكال. أو ماسونياً يوافق علىٰ إتمام مبدأ عقيدي يهودي.

وحسب العقيدة اليهودية فإن الآخر هو كافر برب اليهود، وبسبب كفره وعدم انتمائه للجماعة اليهودية فإنه محذر عليه أن يتدخلّ في شؤون وأمور العقيدة اليهودية وكل فروعها وشرائعها.

والتحدث في أساطير الإبادة المزعومة هو تدخل في شؤون وأمور العقيدة اليهودية، لذلك منع الآخرون جميعاً من البحث فيه ونكرانه.

ولأنّ اليهود أنفسهم يتّهمون كل شخص غير يهودي باللاسامية إذا بحث في مزاعم المحرقة، فهذا دليل تام منهم علىٰ أنّ تلك الأسطورة هي ذات أصل توراتي ليس إلّا.

تماشت مع أعمال الحركة الصهيونية فلسفة يهودية قذرة إلىٰ أبعد الحدود. سنتعرف علىٰ أهم نقاطها ونكتشف بأنها لم تكن في الأصل فلسفة علىٰ الإطلاق، ولم يكن بمقدورها أن ترقىٰ لمكانة الفلسفة الإنسانية بل كانت محاولات سريعة اقتضت الضرورة أن تصاغ كفلسفة لتخدم الأغراض الصهيونية والأعمال والمشاريع المتتالية، وسنكتشف بعد تفنيدها بأنّ واضعيها وضعوا الهدف كمحور فكري وصاغوا حوله فلسفة مزعومة تؤكد علىٰ أحقيته وتسعىٰ لخدمته. ولهذا السبب لم نلاحظ انتشاراً لهذه الفلسفة ، بل لم يعرها المفكّرون والفلاسفة أية أهمية تذكر، ولم يتنازلوا إلىٰ درجة مناقشتها. كما سنلاحظ تناقض بعض النظريات مع نفسها، فيقول غرينبيرغ في نظرية واحدة بأن الإيمان موجود في النفس والإلحاد موجود ومرافق له في نفس هذه النفس اليهودية، وبناء علىٰ رؤيته الفاسقة والمتناقضة يقترح بأن يوافق اليهودي علىٰ هذا التناقض وأن يعيش لحظات إيمان حين يحلو له الإيمان ولحظات إلحاد حين يحلو له الإلحاد.!!. وهو بذلك يسعىٰ لتوليد الإلحاد في نفوس المجتمعات العالمية. وتضاف الأكاذيب الفلسفية هذه إلىٰ قائمة الأكاذيب اليهودية التي لا يمكن إحصاؤها، وتثبت لنا مرة أخرىٰ بأن الكذب عقيدة يهودية وممارسة دينية دائمة.

وتقوم هذه الفلسفة بتعميم كل الأحداث والعقائد الفلسفية علىٰ البشر كافة. فعندما يقول أحدهم بموت الفكر الديني يزعم بموت شامل للفكر الديني عند الإنسانية، وعندما يزعم بموت الإله تصبح المسيحية أيضاً بدون إله. ولا نسمح لأنفسنا أن نستنتج أكثر من هذا، وهو لم ينس أن يموّت الفكر العلماني الذي ترىٰ الصهيونية بأن بقاءه يهدد استمرارها، وأنه لابد من تسخير العقيدة المسيحية لخدمتها. وليتم ذلك باستمرار توجب إبقاء المسيحية وحمايتها من العلمانية، وتحويلها إلىٰ مسيحية دينية صهيونية، ومن هنا نشأت المسيحية الصهيونية والتي يبلغ عدد أتباعها في الولايات المتحدة وحدها حوالي أربعين مليوناً.

وهذه الفلسفة تعيدنا إلىٰ عصر الانتداب والهيمنة الاستعمارية الغربية علىٰ الدول الإسلامية، إذ قامت تلك الجيوش المحتلة بأعمال كثيرة تهدف إلىٰ تشويه الإسلام وتوليد عقائد جديدة فاسقة أحياناً، والعمل بالتبشير المسيحي وإرسال المبشرين بكثرة من ناحية أخرىٰ. بل ومحاولة تشويه الإسلام بعقائد يهودية وهذا ما حصل عند ابتداع البهائية والبابية وغيرها، كما وتثبت الوقائع التاريخية بأن من ضمن المبشرين في المغرب كان يوجد يهود . وقد استفادت الصهيونية من تلك التجارب القديمة وأجرمت هذه المرة بحق المسيحية نفسها. وبالتعرف علىٰ مستوىٰ التمادي والإلحاد والاعتداء علىٰ الديانتين والعقيدتين الإسلامية والمسيحية بحجة تقديس الإبادة يصبح من أهم واجبات المؤمنين أن ينكروا الإبادة، ويتضح بجلاء تحريم الاعتقاد بحدوثها.

عقائد ما بعد الإبادة

لمّا ابتدأ اليهود في صياغة أساطير الإبادة علىٰ أسس دينية يهودية أدىٰ ذلك إلىٰ تشويه العقيدة اليهودية مرة أخرىٰ رغم أعمال التشويه والتحوير العديدة التي طرأت عليها مرات عديدة عبر العصور. وهذه التشوهات الجديدة تمثّل أخطاراً كبيرة تهدد الديانة اليهودية وستؤدي في نهاية المطاف إلىٰ تساقط اليهود وانفلاتهم من الدائرة التي تجمعهم، وانحلال اليهودية كلها. وتأخذ هذه التشوهات ظاهرياً صفة الأبحاث والفلسفة اليهودية لديانة ما بعد آوشفيتز. وتشكك هذه الأبحاث بوجود الرب وقدراته وإمكانياته ودوره في تلك المحارق. وإنّ ما حصل مع اليهود كان نتيجة حتمية لما فعلوه حين ربطوا حادثة الإبادة بالرب وبالميعاد اليهودي وبنصوص التوراة، فكانت أكذوبة مبنية علىٰ عقائد يهودية وكان لابد من أن ينتج عن ذلك الفعل الخطير نتائج عكسية علىٰ الديانة والعقيدة نفسها.

وإن اعترافهم بأنهم صنعوا أكذوبة وبأنهم خدعوا أنفسهم وخدعوا يهودهم وأنهم حسب اعتقادهم تعمدوا أن يخدعوا ربهم. إن اعترافهم بذلك قد يعيدهم إلىٰ يهوديتهم وإلىٰ عقيدة ما قبل المحرقة. وقد ينقذ بعض العقول اليهودية.

فديانة ما بعد المحرقة قلبت اليهودية كلها، وأضافت علىٰ العقيدة صلوات جديدة ورؤىٰ لاهوتية كثيرة ولا حصر لها. كما أن الصلاة اليهودية قد نالتها تغييرات لا حصر لها، وهو أمر لا يزال يحدث حتىٰ الآن، فبعد أن أُضيفت إليها قصائد البيوط يستمر يهود وحاخامات في إضافة نصوص صلواتية جديدة تعتمد علىٰ عقيدة الإبادة. كما يتم تغيير النصوص والأدعية وكتب الصلوات من آونة إلىٰ أخرىٰ.

وتظهر الخاصية الجيولوجية التراكمية كذلك في المحاولة الحديثة لإعادة صياغة العقيدة اليهودية بالشكل الذي يتفق مع ملابسات ما بعد آوشفيتز (أي ما بعد الإبادة) إذ يقول بعض المفكرين الدينيين اليهود:

«إن الإله قد تخلىٰ عن اليهود في محنتهم، ولذلك لابد أن تُعاد صياغة كل شيء وضمن ذلك محاولة التوصل إلىٰ يهودية بدون إله» بل ذهب بعضهم إلىٰ المناداة بأن **«الإله ليس سوىٰ قوة شريرة»**

وتظهر الخاصية الجيولوجية التراكمية بكل حدة في تعريف الشريعة اليهودية لليهودي بأنه من يؤمن بالشريعة ومن وُلد لأم يهودية. وهو تعريف يجمع بين فكرة الإيمان بالإله الواحد الذي يستند إلىٰ الاختيار، الذي ينتج عنه سلوك أخلاقي محدد، وبين الفكرة الوثنية القائلة بأن الانتماء هو انتماء عرْقي للشعب كما هي عادة شعوب الشرق الأدنىٰ القديم وغيرها من الشعوب القديمة.

الزمان والمكان المقدَّسان

أ) الأرض المقدَّسة (المكان أو الوطن المقدَّس): تمتد القداسة لتشمل، بطبيعة الحال، الأرض التي يعيش عليها هذا الشعب المقدَّس، ويشار إليها باسم «صهيون»، و«إرتس يسرائيل». وإذا كان الشعب المقدَّس مختاراً، فالأرض المقدَّسة هي أرض الميعاد التي سيتحقق فيها الوعد الإلهي لهذا الشعب المختار حين يأتي الماشيَّح ويقود شعبه إليها.

ب) **الزمان المقدَّس** (التاريخ المقدَّس): وإذا كان الشعب مقدَّساً ومكانه مقدَّساً فزمانه لا يقل قداسةً. وهذا التاريخ يصبح ذا معنىٰ وشكل محدَّدين من خلال حلول الإله، فتاريخ جماعة إسرائيل يبدأ بالخروج من مصر بمساعدة الإله ثم دخولها إلىٰ كنعان. وهذه الحركة لا تتم إلَّا من خلال التدخل الإلهي المباشر والمستمر، تماماً كما ستنتهي بالعودة من المنفىٰ إلىٰ فلسطين تحت قيادة الماشيَّح الذي سيرسله الإله في آخر الأيام.

عقيدة الحلول الإلهي في الأرض والشعب

وترىٰ العقيدة اليهودية أن علاقة الشعب بالأرض علاقة عضوية لأن الإله يحل في كليهما، وما تاريخ الشعب إلَّا تعبير عن هذه العلاقة العضوية الحلولية.

ويتركز الحلول الإلهي عادةً في إطار الثنائية الصلبة والتي تحوي الشعب والأرض. فإن حلول الرب في شعب بعينه يجعل هذا الشعب مركز الكون، وعندما يتركز الحلول في الأرض ثم في الدولة الصهيونية فيما بعد تصبح الأرض نفسها مقدسة وتصبح الدولة التي تمثل الأرض والشعب مقدسة أيضاً.

ولكل هذا، نجد أن المسافة بين الإله والإنسان تختفي تماماً عند اليهود ويحل محلها الحوار (الديالوج) الدائر بين الإله والشعب. ويصبح الإله المقدَّس لا يختلف كثيراً عن الشعب المقدَّس، فهو يوحي إلىٰ الشعب بما يريد أن يسمع. وهو قد اختارهم لأنهم اختاروه كما جاء في التلمود، وكما يقول بن غوريون. وعندما يتصف الشعب بقدسية تعادل قدسية الإله فإن هذا الشعب يشكّل خطراً علىٰ نفسه وعلىٰ غيره، لأنه يعتقد بأن أعماله وتصرفاته ومواقفه تحمل طابعاً مقدساً بمستوىٰ قدسية الإله. ومن هنا يمكننا تفسير كافة التصرفات الإسرائيلية. في مواقفها العدائية للآخر وفي تركيزها علىٰ منع مناقشة عقيدة الإبادة.

وتمثّل سيناء بالنسبة للصهيونية حرب الرب علىٰ غير اليهود، وتعيدهم معركة

سيناء 1967 إلىٰ تاريخ الخروج . يقول مارتين بوبر: **حينما ذهب الشعب المقدَّس إلىٰ سيناء، فإنه كان يحمل روح الشريعة المقدَّسة التي تلقاها من الإله** أي أن روح الشعب والقداسة هما شيء واحد. والقداسة نفسها تسري علىٰ مؤسسات اليهود الدنيوية القومية كافة أو تحل فيها. ويذهب الصهاينة إلىٰ أبعد من ذلك فيعتبرون أن نسل الملك داود مقدَّس. إذ أن الماشيَّح سيكون من بينهم. واللاويون مقدَّسون منفصلون عن بقية الشعب لأنهم من سبط الكهنة. ويوم السبت مقدَّس لأنه اليوم الذي استراح فيه الإله بعد خلق العالم في ستة أيام، وهو أيضاً اليوم الذي خرج فيه اليهود من مصر، ولذلك فهو منفصل عن بقية أيام العمل العادية. واللغة العبرية هي اللسان المقدَّس رغم أنها لم تكن أصلاً لغة اليهود.

ويصل حد خلع القداسة علىٰ كل شيء قومي إلىٰ درجة أن التلمود وهو (تفسير العلماء اليهود للعهد القديم) يصبح أكثر قداسة من العهد القديم نفسه. وأن الحوار بين الإله والشعب يصل إلىٰ درجة أن قداسة الإله تصبح من قداسة الشعب، وليس العكس. فقد جاء في أحد كتب المدراش: «**حينما تنفّذ إسرائيل إرادة الإله، فإنها تضيف قوة إلىٰ إرادة الإله نفسه، وحينما تعصي إسرائيل إرادة الإله فكأنها تضعف القوة العظمىٰ للإله في الأعالي**». وهذا ما يعني بأن الشعب يصنع الإله ويصنع قداسته، وأنّ قداسة الإله كلها تتأتىٰ من أعمال شعبه الصهيوني.

ويفسِّر أحد كتب المدراش فقرة من إصحاح أشعياء (43/ 12)

« **وأنتم شهودي ـ يقول الرب، وأنا الإله...**»

وهذه الآية يجري تفسيرها كما يلي: **حينما تكونون شهودي أكون أنا الإله، وحينما لا تكونون شهودي فأنا كأنني لست الإله** .

وهنا يجعل اليهود من وجودهم مبرراً ودعامة لوجود الإله نفسه. فكأن ألوهية الإله، بل وجوده، لا يتجاوز الإرادة والوجود اليهوديين. وهنا تصبح كافة أعمالهم القذرة بما فيها الإبادة واجباً مقدّساً يهدف لاستمرار وجود الإله، ويصبح التخلّي عن

الإبادة هو تخل عن الإله نفسه.

وفي تراث القبالاه، وصل الإيمان بقداسة الشعب إلىٰ أشكال في غاية التطرف **إذ ذهب بعض القباليين إلىٰ أن اليهود قد خُلقوا من طينة** مقدَّسة مختلفة عن الطينة التي خُلق منها الأغيار. وبالتالي، تكون أفعال اليهود كلها مقدَّسة لأنها تساهم في عملية إصلاح الخلل الكوني التي يستعيد الإله من خلالها ذاته وكذلك الشرارات الإلهية المشتتة.

ومن جملة عقائد الحلول الإلهي عند اليهود اعتقادهم بأنه يحلّ في النار نفسها وفي السحاب. وكثيرة آيات التوراة التي تدلّ علىٰ هذا التشبيه، ولأنه يحلّ في النار والسحاب فهو شتات وذرات وشرارات مبعثرة. ومن خلال مفهوم **الشرارات الإلهية** المبعثرة، توصَّل الشبتانيون إلىٰ أن القداسة توجد في الخير وجودها في الشر إذ أن الشرارات الإلهية قد علقت بكل شيء، ومن ثم فإن القداسة شملت كل شيء وأصبحت المبدأ الواحد الذي يسري في الكون ويتخلل ثناياه وبرزت فكرة الخطيئة المقدَّسة أساساً في الحركة الفرانكية التي تذهب إلىٰ وجوب الانغماس في الرذيلة حتىٰ يمكن الصعود إلىٰ القداسة. وقد تبدَّىٰ هذا في مفهوم **الخلاص بالجسد**.

وقد ورثت الصهيونية هذا المفهوم الحلولي للقداسة التي تتركز في الشعب المقدَّس والأرض المقدَّسة وفي زمانه أو تاريخه أو روحه المقدَّسة، ولكن الصهاينة قاموا بعلمنة هذا المفهوم الحلولي . وقالوا بأنه الخالق وهو روح الشعب.

والقداسة تحل أيضاً في مختلف الممتلكات القومية التي يملكها الشعب. ولذا، نجد أن (الحاخام تسفي كوك) يقول:

« **إن الجيش الإسرائيلي هو القداسة بعينها.** »

«ومن قبله قال بن جوريون: « **إن الجيش هو خير مفسر للتوراة.** »

ومن هذا المنظور يمكننا أن نفهم تصرفات الحكومة الصهيونية بما يخص جنودها الأسرىٰ، فقد خاضت حرباً مدمّرة وخسرت وانهزمت فيها بعدما أسر حزب الله

اللبناني اثنين من جنودها، كما وقامت بتعبئة حكومات العالم كله وفرضت عقوبات علىٰ الفلسطينيين وغزت قواتها الأراضي الفلسطينية عشرات المرات تحت شعار البحث عن الجندي الصهيوني الأسير، وبهذه الأعمال تبوح إسرائيل بتقديس الجندي الصهيوني الذي يدافع عن إسرائيل المقدسة.

ومن هذا المنظور الحلولي، يمكن أن نفهم مُصطلَحات صهيونية مثل «الحدود التاريخية» و«إسرائيل الكبرىٰ». فتصبح الحدود التاريخية هي الحدود المقدَّسة وتصبح إسرائيل الكبرىٰ هي الأرض المقدَّسة.

عقيدة موت الرب عند اليهود

انتشرت عند اليهود عبارة لاهوت موت الإله،وهي تعتمد علىٰ عقيدة فكرية طرحها نيتشه في منتصف الستينات من القرن الماضي.

وكلمة «لاهوت» تشير إلىٰ التأمل المنهجي في العقائد الدينية. وعبارة «موت الإله» في حد ذاتها مأخوذة من فيلسوف العدمية والعلمانية الأكبر فردريك نيتشه. ويحاول لاهوت موت الإله تأسيس عقيدة تَصدُر عن افتراض أن الإله لا وجود له وأن موته هو إدراك غيابه.

وهذه المفاهيم لا وجود لها عند المسلمين الموحدين لله وعند المسيحيين المؤمنين بوجود الإله (الأب حسب عقيدتهم).

ولكن اليهود المؤمنين بالحلولية ، فالحلول الإلهي عندهم يأخذ درجات منتهاها وحدة الوجود حيث يتجسد (يحل) الإله تماماً في الطبيعة وفي أحداث التاريخ ويتوحد مع الإنسان ومع المخلوقات ويصبح كامناً فيهما . واعتماداً علىٰ أسطورة الإبادة فقد فني اليهود الذين يحل فيهم الرب وبالتالي فإنه يفنىٰ معهم في الأفران والمحارق المزعومة.وإن فناء الطبيعة جزئياً بسبب الحروب والكوارث والدمار في الحرب العالمية والحروب التي تلتها،يعني فناء الرب الذي يحل فيها. وقد ظهرت هذه العقائد عند

اليهود في الستينات من القرن الماضي واستطاع اليهود نشرها في المجتمع الغربي المسيحي وبالتالي تمّ تسميم عقل المسيحيين بها.

وينطلق لاهوت موت الإله عند اليهود من فكرة قداسة التاريخ اليهودي النابعة من قداسة الشعب اليهودي ومن مركزيته الكونية، وهي قداسة تشمل ما يقوم به هذا الشعب من أفعال، وما يقع له من أحداث. ومن الأحداث التي وقعت له في الماضي وهي العبودية في مصر والخروج منها، والسبي البابلي والعودة منه، ثم سقوط الهيكل والشتات. وحسب التفسير اليهودي فإن أهم واقعة تعرّض لها اليهود علىٰ الإطلاق طوال تاريخ اليهودية، هو الإبادة النازية ليهود أوربا. ويُنظر إلىٰ الإبادة باعتبارها حادثة تاريخية تجسد الشر المطلق، وإنها رهيبة لدرجة أنها تنفي وجود الخير والذي هو العقل واليقين والأمل، وبالتالي فهي تنفي وجود الإله. وحتىٰ إن كان الإله موجوداً فيجب ألا نثق فيه وألا نعتقد بوجوده، لأنه تخلّىٰ عن الشعب اليهودي.وتركه يحرق في المحارق. ولأنّ الرب لم يقدر علىٰ إنقاذ شعبه فإنه اختار موته بنفسه فمات مع شعبه وأحرق معهم وأبيد معهم أي أنه أبيد في إبادتهم لأنه الرب الذي يحلّ بيهوده.

لحظة الإبادة ولحظة العدمية:

وفق هذا المنطق الفلسفي تصبح الإبادة حادثة تكاد تكون حدثاً يقف خارج التاريخ، لأنّ التاريخ يقف عندها وينتهي التاريخ في لحظتها ويبدأ في تلك اللحظة نفسها تاريخ جديد.فهي لحظة العدم وهي العدم التام. وهي مدلول متجاوز لا يمكن أن يدل عليه دال؛ وبهذا المنطق تصبح الإبادة مرجعية ذاتها ولا يمكن فهمها إلّا بالعودة إليها خارج أي سياق. فالإبادة هي حدث خارج عن الزمن، وخارج عن المكان.ويمكن القول بأن كلمة «هولوكوست» أصبحت دالاً ومدلولاً في آن واحد.

دائرية الفكر الحلولي ودائرية التاريخ اليهودي:

وحسب التفسير التاريخي الدائري لما تعرّض له اليهود، فقد كان الخروج من

مصر بعد العبودية ، وكانت العودة بعد السبي في بابل، جاءت وقفة الشعب اليهودي ومقاومته لما يتهدد بقاءه في أعقاب حادثة سقوط الهيكل والشتات ثم يعيد التاريخ نفسه مرة أخرىٰ، وتعود الأحداث لتتكرر من جديد. فمن الشتات الطويل كانت الإبادة في ألمانيا (حسب الفلسفة اليهودية) وبقي الشعب ، وعاد من جديد إلىٰ إسرائيل. وبعودة دوران التاريخ بعد لحظة العدمية الزمنية والتي هي لحظة الإبادة يختفي الإله، ويتداخل كل ما هو يهودي في هذه الدائرة التاريخية، يتداخل الإله والإنسان اليهودي والقومية اليهودية والعقيدة وإسرائيل وكل مقدس في إسرائيل. وتقديس إسرائيل هي النتيجة المرجوة من تلك الفلسفة الدينية الجديدة، إذ لم يكن بإمكان صانعيها أن يحافظوا علىٰ وجود الإله في العقيدة اليهودية الجديدة، لأن الاعتقاد بوجوده سيمنعهم من تمجيد إسرائيل وتقديس كافة رموزها، ولأن الإيمان بوجوده قد يقف ذات يوم بوجه الصهيونية المنافقة.وهذا ما حدث فعلاً بظهور حاخامات يهود معادين لكافة الفلسفات والأعمال الصهيونية القذرة.

الفلسفة القبالية تستعيد الإله:

وترىٰ الفلسفة القبالية اليهودية باحتمال استعادة الإله واستعادة حلوله بشعبه الذي نجا من الإبادة لكن بشرط وحيد وهو الذي يتلخّص بالدفاع عن إسرائيل. هذه الوثنية الحلولية الجديدة هي وثنية بدون إله، إذ تحل الذات القومية محل الإله تماماً، أي أن الشعب اليهودي استوعب في ذاته كل المطلقية والقداسة الممكنة وأصبح مركز الكون والكلمة المقدَّسة وأصبح (اللوجوس) ، وفي التراث القبالي تُعَدُّ مقاومة الشعب اليهودي للإبادة بمنزلة تنفيذ الأوامر والنواهي ؛ فهذه المقاومة هي التي تقوم بعملية إصلاح الخلل الكوني وبعملية الحفاظ علىٰ الكون نفسه واستمراره.وهي عملية يقوم الإله من خلالها باستعادة وحدته التي فقدها أثناء عملية الإبادة والفقدان الإلهي. وكلما قاوم اليهودي الإبادة . وكلّما حافظ علىٰ إسرائيل المقدسة، زادت عملية الإصلاح تسارعاً واقتربت استعادة الإله لوحدته. ولحلوله في شعبه وأرضه.

وتؤدينا هذه الفلسفة إلىٰ استنتاج معانيها وهي أن الشعب اليهودي سيبقىٰ خارج التاريخ ككيان ولا يخضع لقوانينه العبثية، طوال الفترة الزمنية التي تنتظر عودة حلول الإله فيه. وتؤكّد الأحداث اليومية تلك الرؤية الصهيونية. فإن كافة أعمال الصهاينة لا تتفق مع كافة المعايير الكونية ذلك لأن اليهودية هي خارج التاريخ، ولأنها لا تخضع لقوانينه ولا للقوانين الزمنية والحضارية كلها. وعندما يقوم حكّام بعض دول الغرب بالتغاضي الدائم عن انتهاكات إسرائيل لكافة الأعراف الدولية فإنهم يتصرفون وفق تلك الرؤية الفلسفية الضيقة التي تمت صياغتها لتكون ورقة دفاعية عن جريمة اغتصاب وطن فلسطين.

ويرىٰ اليهودي آرثر كوهين أن الشعب اليهودي هو بمنزلة الجسر الذي يصل بين الإله والتاريخ ، وهذه أيضاً فكرة حلولية كمونية متطرفة وترىٰ بأن الشعب هو الإله وأن هذا الإله لا يتجاوز تاريخ هذا الشعب وإنما يتجلىٰ ويحل ويذوب فيه تماماً ويختفي. وبناء علىٰ التفسير الحلولي للإله فإن اليهود الذين ابتدعوا أكذوبة الإبادة كانوا يرجون حدوث الإبادة حقيقة ومن خلالها إحراق الرب اليهودي وإبادته وإنهاء دوره ككائن يحلّ في الشعب والتاريخ اليهودي.

وإذا كانت الجريمة الكبرىٰ هي الفناء، فالفضيلة الكبرىٰ هي المقاومة والبقاء، وكل هذا يجسده ظهور دولة إسرائيل كدولة ذات سيادة تعبِّر عن إرادة الشعب اليهودي ورغبته في البقاء، وتثبت أن الشعب اليهودي يرفض أن يلعب دور الشعب الشاهد كما ترىٰ المسيحية، ولا أن يكون شعباً شهيداً كما تتصور اليهودية الحاخامية التي ترىٰ أن اليهود تم اختيارهم ليكونوا شعباً من الشهداء والقديسين والأنبياء والكهنة لا سيادة له، وهو دور الفرد العاجز الذي لا يشارك في السلطة، بل لا يحق له ذلك. وهو الدور الذي يرىٰ دعاة لاهوت موت الإله أنه أدّىٰ باليهود إلىٰ الاستسلام للإرهاب النازي، وعبَّر عن نفسه في اشتراك القيادات اليهودية في المجالس اليهودية التي أسسها النازيون والتي قامت بتسليم اليهود إلىٰ قاتليهم حسب تفسيرات بعض

المصادر الصهيونية. وبهذا التفسير الفلسفي يبرر الصهاينة حقيقة تاريخية لم يستطيعوا إخفائها وهي حقيقة تحالفهم مع النظام النازي الهتلري. ذلك التحالف القوي الذي نبيّن فصوله في هذا البحث والذي يؤكّد بعدم وجود تهديد لليهود آنذاك، وبعدم حدوث إبادة مطلقاً.

لكن الدولة الصهيونية تقف علىٰ الطرف النقيض من رؤية أولئك الحاخامات المعتدلين، فهي تحل مشكلة العجز اليهودي الناجم عن انعدام السيادة وعدم المشاركة في السلطة، وتقيم دولة ذات سيادة ولها سلطة وجيش ومؤسسات عسكرية تدافع عن الإرادة اليهودية المستقلة، وتصبح إسرائيل (باعتبارها رمز بقاء الشعب) هي الكيان الذي يهزم الفكر الحاخامي المعتدل ويهزم الإبادة ويهزم العدم ويهزم هتلر.

إسرائيل هي الحضور الإلهي الضابط لهذا الكون:

ويقول الحاخام إليعازر بركوفتس: «**لاهوت موت الإله هو لاهوت البقاء ولاهوت ما بعد آوشفيتز. وإن إسرائيل هي الوسيلة الكبرىٰ لعملية الإصلاح الكوني**» وهنا يجري تعريف عقيدة ما بعد الإبادة، والتي تحمل ثلاثة أسماء ومقدسات، وجعل هذه المقدسات الثلاث تصبّ في تقديس إسرائيل نفسها. فتصبح إسرائيل قدس الأقداس والمطلق الأوحد، والمطلق الذي يتوجب الحفاظ عليه لضمان الحضور الإلهي في هذا الكون.

ويقول آرثر روبينشتاين: إن بقاء الشعب والدولة هو بقاء الإله، واستمرار الشعب والدولة هو استمرار الإله. ولذا، فإن من يقف ضد الدولة ولا يقبلها فهو كمن ينكر وجود الإله، ومن يقبلها بلا شرط فهو وحده المؤمن.

وعملاً بهذا المفهوم فقد قال الحاخام **إيوجين بورويتز** أحد مفكري لاهوت موت الإله إبان حرب 1967: «**إن انتصار إسرائيل في هذه الحرب يعني انتصار الرب وبقاءه، وإن إسرائيل لم تكن وحدها المهددة بالخطر، بل كان هذا الخطر محدقاً بالإله**

opelikandi.com

نفسه. واعتمادا علىٰ تلك الفلسفة الإلحادية أصبحت القيمة الأخلاقية المطلقة هي بقاء الشعب اليهودي، وهذا البقاء هو نهاية في ذاته، والحفاظ علىٰ الدولة وبقاؤها وبأي ثمن هو أيضاً مطلق أخلاقي. والدفاع عن إسرائيل ليس دفاع اليهود عن أنفسهم بل هو دفاع عن الإله؟ ومن ثم نجد أن لاهوت موت الإله يؤدي إلىٰ نتائج فلسفة داروينية، هي في جوهرها لا أخلاقيات، إذ أنها لا تحاكم إسرائيل بأية مقاييس أخلاقية، وإنما تبرر كل أفعالها وتقبلها تماماً بل إن الشغل الشاغل للشعب اليهودي هو: تَذكُّر الإبادة وما حلَّ باليهود، ثم الالتزام ببقاء إسرائيل وحماية سيادتها وصون بقاء الشعب اليهودي، بأية طريقة ودون الالتزام بأية قيم وهذا ما يفسّر لنا أهم مشروعين تتبناهما وتعمل بهما الحكومة الصهيونية وهما:

- جعل إسرائيل كلها منظومة عسكرية كاملة تتسلح وتتأهب للحرب في أية لحظة من تاريخها وتعتدي علىٰ جيرانها وعلىٰ الدول العربية والإسلامية كلما استطاعت، بل واعتماداً علىٰ ذلك فقد بنت مفاعلاً نووياً منذ بداية قيامها.
- إبقاء أكذوبة المحرقة سارية في العالم كله ومنع المساس بها لأنها ترتبط بلبّ العقيدة الصهيونية وبكل مشاريعها.

الشعائر اليهودية الجديدة

وعندما تطورت العقيدة اليهودية وتغيرت مفاهيمها وعندما فقد اليهود ربهم كان لابدّ من أن تكتسب الشعائر اليهودية أبعاداً جديدة تماماً. فإن كان تَذكُّر الذات (اليهودية) واجباً أخلاقياً، فإن كتابات اليهود من أمثال إيلي فيزيل عن الإبادة تصبح هي الكتب المقدَّسة، ويُعتبَر متحف مثل متحف بيت هاتيفوتسوت (متحف الدياسبورا في إسرائيل) وعاءً مقدساً للذاكرة اليهودية وتصبح زيارته شعيرة دينية مقدَّسة، أما الأوامر والنواهي والمحرمات والمنكرات فتصبح كلها مرتبطة بالدولة والمؤسسات الصهيونية والإسرائيلية مثل الكنيست وجيش إسرائيل ووزارة دفاعه،

والحكومة الصهيونية والرئاسة الصهيونية. ومن هنا نستطيع تفسير تقديس اليهود لرئيس إسرائيل. فعندما انطلقت فضيحة اعتدائه الجنسي علىٰ إحدىٰ العاملات، أخذت تلك الفضيحة أبعاداً دينية لا أخلاقية. فأخلاق الصهاينة تبرر مثل ذلك الاعتداء (وهم الذين عقدوا مؤتمر المثلي جنسياً في إسرائيل، وأباحوا الزواج المثلي) لكنّ القداسة الإلهية للرئيس الإسرائيلي هي التي أشعلت استنكار الفضيحة. وقد نجح اليهود، في حوارهم مع المسيحيين الغربيين، في أن يجعلوا من الإيمان بالدولة الصهيونية أحد المطلقات التي لا يجوز في شأنها حوار، كما لا يمكن مناقشة أفعالها. وهذا ما يفسر لنا سرّ علاقة إسرائيل بالغرب فهي بالأصل علاقة دينية يهودية مسيحية، نتجت عن مقدرة اليهودية علىٰ التغلغل إلىٰ داخل اللاهوت المسيحي وتلقينه النقاط الحمراء اليهودية التي لا يمكن تخطيها، وأهمها تحصين مبدأ الإبادة وأحقّية الدفاع عن إسرائيل. وهو ما يفسّر أيضاً تغاضي الغرب الدائم عن ارتكاب إسرائيل لكافة المحرّمات الدولية.

الإبادة اليهودية هي الصلب المسيحي

ومن ضمن التناقضات اليهودية الجديدة ذلك التأثر بمفاهيم مسيحية وقيامهم بتعديل تلك المفاهيم وتشويهها . فأصبح إدراك يهود أوربا للإبادة النازية إدراكاً داخلياً متأثراً بحادثة الصلب المسيحية بل إنه تشويه له وتسميم للعقيدة المسيحية.

فالمسيح هو اللوجوس ابن الإله الذي ينزل فيُصلَب ثم يقوم ويعود إلىٰ أبيه وهذا هو الحلول المؤقت الشخصي المنتهي عند المسيحية .

أما اليهودية فتعتقد أنّ الشعب هو اللوجوس الذي يعيش بين الأمم ويتعرض للشتات والعذاب .أي أنه المسيح نفسه .

وإن تعرّض اليهود للإبادة يعني تعرّض المسيح للصلب فيصبح اليهود كالمسيح نفسه.

وإن قيامة اليهود بعد الإبادة والبدء في بناء دولة إسرائيل يماثل قيامة المسيح بعد الصلب.

واستطاع اليهود غرز هذا المفهوم عند المسيحيين لأن الاعتقاد المسيحي لا يمكنه أن يرفض فكرة صلب المسيح ولا أن يرفض حادثة الصلب بل توجّب عليه أن يقبلها كما هي في الوجدان المسيحي، وعلىٰ هذا تم تقبّل إبادة اليهود والاعتقاد بأنها كالصلب المسيحي. وليتنبه المسيحيون العرب إلىٰ هذا التشويه الكبير للديانة المسيحية، وليحذروا تغلغل هذه العقيدة إلىٰ الكنيسة العربية.

وإن لاهوت موت الإله اليهودي يتطلب من اليهود والأغيار قبول حادثة الإبادة باعتبارها سراً من الأسرار الكونية والربانية. وكما أن المسيح يقوم بعد الصلب، فإن الشعب يبقىٰ بعد الإبادة ثم يقوم علىٰ هيئة الدولة الصهيونية . أي أن الحلول المسيحي الشخصي المنتهي يتحول عند اليهود إلىٰ حلول قومي دائم ومستمر.

وفي هذه الفلسفة اللا أخلاقية نكتشف مجموعة من النقاط:

- اليهود بحاجة كبيرة لأن يصدق الآخرون أسطورة الإبادة ويعتبرونهم الشعب الضحية. ومن هنا كانت إذاعة الأكذوبة عالمياً.
- استطاع اليهود التأثير علىٰ العقيدة المسيحية الأوروبية وتشويهها والتلاعب ببعض عقائدها، وبالتالي التنفذ داخل المجتمع المسيحي في كافة أوساطه. ونعتقد بأنهم حاولوا التأثير علىٰ العقل الديني الإسلامي وحشر عقيدة الإبادة ضمن المفاهيم الإسلامية لكنهم لم يستطيعوا.لأن الإسلام العظيم محصّن ضد تلك المحاولات والمسلمون محصنون بـها فيه الكفاية. وإن حصانة المسيحية الشرقية من تلك السموم يتأتىٰ من حصانة شرقيتها وعلاقتها بالمسلمين أنفسهم. ومن هنا يتوجب علىٰ المسلمين والمسيحيين العرب أن يستنكروا تماماً مفهوم الإبادة. وأن يعطوه بعداً دينياً وعقيدياً كما هو الحال. ومما لا شك فيه أن الخطاب اليهودي لا علاقة له البتّة بأي دين، سواء أكان الإسلام أم المسيحية أم حتىٰ اليهودية الحاخامية وإن كثيراً من حاخامات اليهود يستنكرونه نهائياً ويعادون الصهيونية التي ابتدعته. وهو بالفعل يصدم أسماع كثير من

الحاخامات الذين قاموا بتكفير أصحابه.

ولكن التركيب الجيولوجي للعقيدة اليهودية ووجود أحداث تاريخية مشابهة للأحداث الأخيرة تجعل هذه الأفكار أمراً ممكناً. ففكرة الإصلاح في القبالاه اللوريانية تمنح اليهود مركزية كونية وتجعل وجود الإله أو وحدته مرهوناً بوجودهم والقبالاه كانت العمود الفقري لليهودية الحاخامية أو لتيار مهم داخلها.

إسرائيل الإله

إنّ لاهوت موت الإله يعتقد بوحدة الوجود المادية وهو اللحظة التي تتم فيها صهينة اللاهوت اليهودي تماماً. ويجري تأليه إسرائيل وفق هذه المراحل الكونية:

- يختفي الإله تماماً مع الإبادة ويموت وتموت معه شعائره وكتبه المقدَّسة ليحل محله إله جديد هو الدولة الصهيونية،
- تختفي الشعائر اليهودية القديمة وتظهر شعائر جديدة هي الدفاع عن الدولة.
- تختفي الكتب المقدسة القديمة وتصبح الكتب المقدَّسة الجديدة سجلات ذاكرة الإبادة
- لاهوت موت الإله هو وحده الذي يبيح للصهيونية ارتكاب المجازر وتستطيع من خلاله إقناع جنودها وإقناع المجتمع الغربي بحقها في قتل أطفال المسلمين وتدمير بلدانهم . ولعلّ هذا ما يفسّر صمت الغرب عن كافة الجرائم الصهيونية.

علمنة الديانة اليهودية

يحتوي لاهوت الإبادة في داخله علىٰ تناقضات كثيرة وأساسية، فهو يصر علىٰ أن يخلع المطلقية علىٰ اليهود ويبقيهم ضمن دائرة التاريخ العام.

ويخلع الصهاينة المطلقية علىٰ كافة مؤسساتهم وتاريخهم ومشاريعهم فلا يمكن النقاش في معنىٰ وصدقية الإبادة، ولا يمكن انتقاد الدولة الصهيونية أو الحوار بشأنها

obeikandi.com

أو في أحقيتها ، ولا يمكن مناقشة كافة أعمالها العدوانية، ولاهوت موت الإله تعبير عن العلمنة الشاملة الكاملة للنسق الديني اليهودي، فهو شكل حاد من أشكال التعبير عن الذات القومية العنصرية التي تتحول إلىٰ مطلق يعبّر عن نفسه من خلال مطلق آخر: الدولة. وهي مطلقات مادية لها كل صفات الغيب والميتافيزيك دون أن تُحمِّل من يؤمن بها أية أعباء أخلاقية، بل تعطيه العديد من المزايا والصلاحيات، وتصبح كافة أعماله مقدسة. ويصبح التزامه الوحيد تجاه العقيدة هو البقاء، المتمثّل ببقاء إسرائيل المقدسة وشعبها المقدس.

ولعل إدراكنا منطلقات لاهوت موت الإله بمطلقيته وتاريخيته، وكذلك إدراكنا لنتائجه المعرفية والأخلاقية، يفسر لنا أسرار الصهيونية وسر علاقتها بالغرب وسرّ الموقف الصهيوني والإسرائيلي تجاه العرب، فإذا كانت الذات القومية مطلقة فلا مجال للحوار مع الآخر (وهو العرب) ولا حقوق له علىٰ الإطلاق لأنه يقع خارج الدائرة المقدَّسة. ويمكننا أن نقول إن لاهوت موت الإله هو النسق الكامن وراء الخطاب السياسي الإسرائيلي، وهو الذي يفسر لنا أيضاً أسباب ما يطلق عليه بالتعنت الصهيوني.

ومن أهم مفكري لاهوت موت الإله إرفنج جرينبرج وريتشارد روبينشتاين وإميل لودفيج فاكنهايم. وتدلّ نتائج هذا اللاهوت علىٰ سبب صياغته، فهو إنما صيغ بدقّة فلسفية كبيرة ليكون مبرراً دائماً لجرائم الصهيونية. ويتضّح لنا هنا كيف تكاتفت جهود الصهاينة في أقطاب العالم كله،لتبرر قيام دولة إسرائيل ولتحافظ علىٰ استمرار وجودها. فبينما صهاينة يتحالفون مع هتلر، كان آخرون يصيغون فلسفة وجود . وآخرون يتحاورون مع الحلفاء، وآخرون يستوطنون في فلسطين ويهجّرون أهلها العرب، والحقيقة التي لا يمكننا أن ننكرها هي أنّ كافة اللاعبين آنذاك استطاعوا القيام بأدوارهم بدقة كبيرة.. فقد أدرك أولئك بأنّ دولة زائفة باطلة لا يمكنها أن تستمر بدون فكر فلسفي وديني يرافق قيامها ويدعم وجودها باستمرار.

والحقيقة أنّ حرب حزب الله اللبناني التي انتصر فيها علىٰ إسرائيل كانت الخطوة

العالمية الأولىٰ التي تهدد بزوال تلك الفلسفات الباطلة وتلك المقدسات المزعومة. فمن نتائج تلك الحرب أن القوات الدولية والحكومة الفرنسية والرئيس الفرنسي استنكر اعتداءات إسرائيل بعد الاتفاق علىٰ وقف القتال، واستنكروا اختراق إسرائيل للمجال اللبناني واستنكروا زرعها ملايين الألغام . أي أنّ إسرائيل لم تعد محصّنة دينياً كما كانت من قبل وأن أعمالها لم تعد محصّنة . وهذه بداية لانتشار مبدأ أكثر تعميماً وهو أن إسرائيل كلها لم تعد مقدسة عند الغرب.

تحريم الاعتقاد بالمحرقة والإبادة

عند المسلمين والمسيحيين:

منذ اليوم الأول لإذاعة الأكذوبة قام الصهاينة وبمساعدة حكّام الغرب آنذاك، (وهم أنصاف اليهود) بفرض تقديس الإبادة عالمياً وجعل قداستها تفوق قداسة الإسلام والمسيحية، وبناء علىٰ ذلك فمن المسموح في دول الغرب كلها انتقاد المسيح وقداسته وقداسة الديانة المسيحية وكل ما يتعلق بها، ومن المسموح أيضاً انتقاد المقدسات الإسلامية كلها وانتقاد النبي الكريم، وبالوقت نفسه يحذّر تماماً من انتقاد قدسية الإبادة والهولوكوست المزعوم. وهذا الفرض الصهيوني المتطرف لقداسة الإبادة يجعل من الواجب والملزم للمسلمين أن يستنكروه وباستنكاره ينكرون قداسة الإبادة وينكرون عقيدة تقديسها، ويرسّخون قداسة الإسلام العظيم. ويتوجب علىٰ المسيحية المؤمنة أيضاً رفض قداسة الإبادة والهولوكوست وترسيخ قداسة ديانتها السمحاء.

ومن خلال التفسير اليهودي المستمر للإبادة والمحرقة نلاحظ ربط ذلك بعقيدة يهودية متمادية وأهم عناصرها:

الإلحاد والوثنية – الحلولية – علمنة اللاهوت الديني – العنصرية اليهودية – موت الرب – قدسية إسرائيل وقدسية الصهاينة ومواطني إسرائيل. والأعمال الصهيونية الإبادية.

كما أن المحرقة والإبادة ارتبطتا بظهور مدرسة فكرية يهودية إلحادية حلولية يعتبرها اليهود ديانة جديدة تكونت أسسها وعناصرها مع حادث الإبادة نفسه. ولم تكن أساطير الإبادة المزعومة إلَّا كمبرر لإظهار اليهودية الجديدة.

ومما لاشك فيه بأن الاعتقاد بحدوث الإبادة يعني ضمناً الاعتقاد بالمبادئ الدينية المتعلقة بالإبادة كلها وتلك التحليلات التي تبعتها. ومن هنا فإنه يحرّم علىٰ المسلم والمسيحي تحريماً تاماً الاعتقاد بتلك المفاهيم الإلحادية التي هي نوع من الشرك والكفر والخروج عن الديانة السماوية.

ومن بين المبادئ الصهيونية التي اعتبرت كنتائج لحادثة الإبادة إعطاء إسرائيل قدسية إلهية وإعطاء الشعب اليهودي والإسرائيلي علىٰ الأخص قدسية إلهية وتلك القدسية تعني أحقية الوجود وأحقية قتل الآخرين وإبادتهم وحظر مناقشة الصهاينة في كل أعمالهم لأن قداستهم وقداسة أعمالهم هي من قداسة الرب ولذلك يمنع مواجهتهم. وهذا الاعتقاد نفسه هو سلاح صهيوني يهدف إلىٰ قتل العرب والمسلمين المدافعين عن قضية فلسطين، وعلىٰ ذلك فيكون الاعتقاد بالإبادة وتفسيراتها اعتقاداً بإبادة العرب والمسلمين. ومن هنا أيضاً يأتي تحريم الاعتقاد بإبادة اليهود. إذ لا يجوز للمسلم والمسيحي العربي أن يعتقد بفكرة تريد إلىٰ تدميره وهلاكه.

التفكير اليهودي وفق أسس مسيحية

ايتي هيلسوم مفكرة دينية هولندية يهودية. حصلت علىٰ الدكتوراه في القانون من جامعة أمستردام، وقد عَملت في أحد المجالس اليهودية التي أسسها النازيون لإدارة شؤون الجماعات اليهودية ولترحيل اليهود إلىٰ معسكرات الاعتقال. وقد نُقلت هيلسوم إلىٰ أحد المعسكرات حيث كان يتّم فرز اليهود لتقرير من سيُرحَّل إلىٰ معسكرات الاعتقال، ورفضت هيلسوم أن تتخلىٰ عن عملها حتىٰ حينما سنحت لها الفرصة. وقد رُحِّلت إلىٰ معسكر آوشفيتز حيث ماتت فيه عام 1943.

وقبل موتها كتبت عن تصوراتها الدينية اليهودية التي تأثرت بالعقيدة المسيحية بشكل واضح، ينطلق فكر هيلسوم من عقيدة الإبادة وعقيدة غياب الإله أو موته وعجزه، بل إنها تكتب وفق فلسفة صهيونية حديثة متسائلة: «**إذا كان الإله عاجزاً ولا يستطيع مساعدة شعبه اليهودي، فهل يستطيع هذا الشعب مساعدته؟**»

وتشير في يومياتها إلىٰ ضرورة أن يضحّي الإنسان بنفسه دون انتظار أية عدالة ودون أن يكنّ أي كره لقاتله، وسيكون بذلك كالمسيح المصلوب الذي قدم نفسه لأجل شعبه.

وقد وُصف فكرها الديني بأنه مسيحي متأثر لا بحادثة الخروج اليهودية وإنما بحادثة الصَلْب المسيحية.

وهي تستشهد في كتاباتها بآيات كثيرة من العهد الجديد. بل يبدو أن رؤيتها لآوشفيتز هي رؤية مسيحية محدثة، فالشعب اليهودي هو الذي يتم صلبه وكأنه حَمَل الإله الوديع ودمه النازف شهادة علىٰ وجود الإله أو دعوة للشعوب ألا تنغمس في العنف مرة أخرىٰ. ولذا، فإننا نجد أنها لا تهتم كثيراً بإشكالية عجز الشعب اليهودي بسبب عدم مشاركته في السلطة، وبقاء الشعب ليس المطلق أو حجر الزاوية المقدَّسة بالنسبة إليها. لأنها لا تحرص علىٰ إنقاذ اليهود بل ترىٰ أن لا خلاص لهم وأن لا ضرورة لإنقاذهم لأنه لا مستقبل لهم بين الشعوب. (48) فالموضوع الأساسي في كتاباتها هو اليهود كشاهد وليس اليهود كشعب له سيادة. وقد ظهرت طبعة لأعمالها الكاملة بالهولندية عام 1986. وهي تثير قضية الهوية اليهودية، وتثير طرح تساؤلات عديدة: إذا كانت النقطة المرجعية لهيلسوم هي المسيحية، وإذا كان خطابها الديني مسيحياً، فبأي معنىٰ من المعاني يمكن الحديث عن يهوديتها ثم إنّ هيلسوم كانت أول من اتبع هذه الطريقة فاتبعها الصهاينة في الغوص في المسيحية لكن بطريقة تخريبية لأركان العقيدة المسيحية وبأسلوب يجعل المسيحية نفسها تابعة دينياً للعقيدة اليهودية وقد نجحت تلك المحاولات في الغرب. لكن لم تتأثّر المسيحية العربية كلها

بتلك الأفكار الهدّامة. والحقيقة أن كل الفلسفات اليهودية والعقائد الجديدة التي تم نسخها عن المسيحية كانت تشويهاً للأفكار المسيحية التي نقلت عنها وإساءة للمسيحية نفسها. لأنها لم تكن في الأساس فلسفة دينية لأجل الدين نفسه بل كانت تسخيراً للديانتين المسيحية واليهودية لخدمة المشروع الصهيوني الكبير.

لحظات للإيمان ولحظات للإلحاد عند غرينبرغ

ربط أرفنغ غرينبرغ بين آوشفيتز والعقيدة اليهودية بطريقة أوصلته إلىٰ الإلحاد التام. وقام بتفسير التاريخ اليهودي علىٰ أساس آوشفيتز وتوصل إلىٰ نتائج تجعل اليهود أنفسهم يحلّون محل الرب. تلك الفلسفة التي تضخمت من بعده وأصبحت عقيدة يهودية جديدة.

وغرينبرغ حاخام أمريكي أرثوذكسي يهودي. وُلد في بروكلين، وعمل أستاذاً للتاريخ في جامعة يشيفا.

وينطلق فكره من نقد جذري عميق لكل من الدين والحداثة اعتماداً علىٰ أسطورة الإبادة. وقد تجرأ في تحميل المسيحية مسؤولية الإبادة. إذ يكتب: «اليهودية والمسيحية مسؤولتان عن الإبادة لأنهما أدتا إلىٰ فناء اليهود: المسيحية بقيامها بتجريد اليهود من السلطة طوال تاريخ إقامتهم في أوروبا،وتحويلهم إلىٰ شعب شاهد وبتوليدها كُرهاً عميقاً تجاه اليهود لدىٰ المسيحيين، واليهودية الحاخامية بتقبلها العجز بسبب عدم المشاركة في السلطة واعتباره حالة نهائية لن تنتهي إلَّا بمقدم الماشيح. وبهذا التفسير يقوم باستعداء الحاخامات اليهود المعتدلين وباستبعاد نفوذهم داخل إسرائيل والحركة الصهيونية، وهذا الاستبعاد كان سياسياً وضرورة صهيونية قبل أن يصبح فلسفة.

ومن هنا تأتي الفلسفة لتقوم بدورها كمكمّل في اللعبة السياسية الكبيرة.كما ويعتبر تحميل المسيحية فلسفياً وتاريخياً دوراً كبيراً في الإبادة لإكمال تلك اللعبة الصهيونية».

وهو يعتمد علىٰ أسطورة الإبادة في رؤيته للعلم فيرىٰ أنّ الحل لا يكمن في الاتجاه

إلىٰ العلم، فالحضارة الحديثة التي نقلت الولاء من إله التاريخ والوحي إلىٰ إله العلم.

والإنسانية في نظره لم تؤد إلىٰ سعادة الإنسان وإنما إلىٰ الإبادة، والمجتمع الحديث بكل آلياته وإمكاناته هو الذي جعل الإبادة أمراً ممكناً. ويكتب غرينبيرغ:

«إن كلاًّ من المؤسسات الدينية والحديثة مرت علىٰ الإبادة مروراً عابراً وتقاعست عن واجب تحديها بالخروج عن الصمت»،

وهو يرىٰ أن الإيمان موجود وإن الإلحاد موجود ومرافق لـه ، ويعتقد أن الإيمان والإلحاد موجودان في وقت واحد عند النفس اليهودية، وبالتالي فلا خلاص من طرد أحدهما. وبهذا يرفض أن ينسب أية مطلقية للعقيدة الدينية أو للمجتمع العلماني. ويقترح الحل الوسطي لهذه المشكلة، فيقول:

«بدلاً من الحديث عن الإيمان والإلحاد، علينا أن نحافظ علىٰ كليهما ونتحدث عن لحظات من الإيمان ولحظات من الإلحاد، وعلينا أن نتقبل كلاًّ من لحظات الإيمان ولحظات الإلحاد، وبذا نتخلص من الثنائية التقليدية التي تضع الإيمان مقابل الإلحاد»،

وفي هذا تَقَبُّل للتعددية المتناقضة حيث لا يوجد مركز دائم ولا يوجد مبدأ اعتقادي ينطلق منه الفرد. وإنما هناك مراكز متعددة متنقلة متغيرة تماماً.

جدلية القدس:

يعتبر غرينبيرغ أنّ حياة الشعب اليهودي بأسره جدل مستمر بين لحظات الإيمان ولحظات الإلحاد، وهو ما يسميه بجدلية القدس أو جدلية آوشفيتز. فالقدس ترمز إلىٰ لحظة الإيمان بالإله والشعب وتبعث علىٰ الأمل، أما آوشفيتز فترمز إلىٰ الاغتراب عن الإله والناس وتبعث علىٰ القنوط.

ويقدم غرينبرغ تاريخاً لليهودية هو تطبيق لنظرية اختفاء المركز. فتاريخ اليهودية عنده يعبّر عن ظاهرة اختفاء الإله تدريجياً. ولإثبات نظريته هذه، يُقسِّم تاريخ

اليهودية إلىٰ ثلاث مراحل وهي:

- المرحلة الأولىٰ، مرحلة **العهد القديم**: وهي المرحلة التي بدأت بالحديث المباشر بين الإله وموسىٰ ثم حديث الإله للشعب من خلال الكهنة والأنبياء وكان الشعب في هذه المرحلة كل لا يتجزأ، وتأخذ الشعائر شكل العبادة القربانية التي كان يشرف عليها الكهنة في الهيكل. وكانت الخطايا في هذه المرحلة جماعية، كما أن التوبة والندم كانتا جماعيتين.
- المرحلة الثانية، **مرحلة تراجع الإله** وتعزز فيها دور التلمود واليهودية الحاخامية أو التلمودية: وهي المرحلة التي لا يتحدث فيها الإله مباشرة للشعب، وإنما يتم الحوار من خلال الحاخامات الذين يدرسون كتاب الإله من خلال التفسيرات التي وضعها المفسرون الأوائل، أي يدرسون التلمود. وتأخذ الشعائر هنا شكل التعبد في المعبد اليهودي تحت قيادة الحاخام، ويُلاحَظ في هذه المرحلة بداية التراجع النسبي للإله (قياساً إلىٰ المرحلة السابقة).
- المرحلة الثالثة: **مرحلة الإبادة** وآوشفيتز ودولة إسرائيل: وهي المرحلة التي يختفي فيها الإله تماماً وتصبح الدولة الصهيونية هي المطلق، إذ كان الإله في المعسكرات يقول للبشر: أوقفوا المذبحة ولكنها لم تتوقف، ولم يستجب أحد. ومع هذا جاءت الاستجابة في شكل دولة إسرائيل. فكأن الإله قد حلَّ تماماً في التاريخ و صعد مع الشعب إلىٰ إسرائيل، تماماً كما تقول النصوص التوراتية. ومن ثم فإن هذه المرحلة تتسم بغياب الإله وحضور إسرائيل واعتماداً علىٰ غرينبيرغ يكون قيام دولة إسرائيل حدثاً ربانياً محتوماً. ويرىٰ أن التحول الذي حَدَث هو تحوُّل من العجز بسبب عدم المشاركة في السلطة إلىٰ تأكيد السيادة والاستيلاء علىٰ السلطة، وهو أمر لا يتم بالنسبة للمستوطنين في إسرائيل وحدهم، وإنما يحدث لجميع يهود العالم الذين يشكلون أداة ضغط متمثلة في اللوبي الصهيوني والمؤسسات الصهيونية الأخرىٰ، فكأن حالة النفي تنتهي فعلياً ومادياً بالنسبة إلىٰ المستوطنين وتنتهي نفسياً

بالنسبة إلىٰ يهود العالم. وحسب فلسفته وهو اليهودي غير المقيم في إسرائيل فإن إقامة اليهود في أية بقعة من العالم يعتبر مماثلاً لإقامتهم فيها. وأنهم رغم تشتتهم وبعدهم عن إسرائيل فهم يقيمون إلىٰ جوار الرب.

كما أن بقاء الشعب اليهودي متمثلاً في الدولة الصهيونية في فلسطين والجماعات اليهودية في العالم، وتأكيد سيادة اليهود سواء في إسرائيل أو في خارجها، أمر مطلق لا يجوز الحوار بشأنه فمن يقف ضد تعبير إسرائيل عن سيادتها يكون مثل من ينكر واقعة الخروج من مصر، ومن ثم فإنه يكون كمن ارتكب خطيئة دينية قاطعة تؤدي إلىٰ الطرد من حظيرة الدين. ولا يمكن الحكم علىٰ إسرائيل بالمقاييس العادية، لأنها تحمل سمات ربانية حسب اعتقاده، فهو يعتبر بقاءها مطلق، وهو ما يعطيها الحق في أن تستخدم أحياناً أساليب غير أخلاقية لضمان البقاء. وعلىٰ سبيل المثال، يمكن الحديث عن حق العرب في تقرير المصير شريطة ألا يؤدي هذا إلىٰ تهديد وجود إسرائيل وبقائها.وتصبح الذات اليهودية وفق غرينبيرغ محوراً حلولياً وثنياً.

وبواسطة تلك الفلسفة يحرص علىٰ لمّ الشمل اليهودي وتضافر القوىٰ الصهيونية في العالم كله. إذ يطبّق كافة أحكامه علىٰ يهود العالم المتوزعين ويخصّ منهم الجماعة اليهودية في الولايات المتحدة التي يجب أن تتحول هي الأخرىٰ حسب قوله إلىٰ جماعة عضوية متماسكة ذات إرادة مستقلة، تتطهر رؤيتها تماماً من كلٍّ من الليبرالية والعالمية، بحيث يركز اليهود لا علىٰ الأصدقاء الدائمين وإنما علىٰ المصالح الدائمة، ويصبحون ملمين تماماً بموازين القوىٰ وكيفية توظيفها لصالح اليهود وحدهم ولصالح الدولة الصهيونية أيضاً. وبدلاً من أن يضغط اليهود علىٰ أمريكا لخفض أسلحتها أو للانسحاب من مناطق مثل فيتنام مثلاً، انطلاقاً من قيم أخلاقية مطلقة، لابد أن يدرك اليهود أن قوة إسرائيل تستند إلىٰ قوة الولايات المتحدة.وأنّ من واجبهم التركيز علىٰ قوتها وهيمنتها بل وبطشها وإطلاق يدها في العالم كله.ويمكن تحليل ظاهرة الهيمنة الأمريكية ومحاولة فرض سلطتها علىٰ الاتحاد الأوروبي وعلىٰ إيران وسورية وكوريا

وروسيا وغيرها، علىٰ أنها استكمالاً لخطّة غرينبيرغ، وبالنتيجة تصبح تلك الفلسفة أكذوبة أخرىٰ وخديعة فلسفية سخيفة تمت صياغتها لتبرير الأعمال الصهيونية المتتالية.

الكتب المقدسة عند غرينبيرغ

يعتبر غرينبيرغ أن التوراة كانت الكتاب المقدس للمرحلة الأولىٰ وأن التلمود هو كتاب المرحلة الثانية وأن كتابات ونصوص وأدبيات المحرقة والإبادة هي الكتاب المقدس في المرحلة الثالثة. فهو يعتبر أنها النصوص التي تُذكِّر الشعب اليهودي بالإبادة وبضرورة البقاء، وعلىٰ هذا فانه يعتبر فلسفته المزعومة ونصوص ومذكرات وتحليلات أمثاله من اليهود نصوصاً يهودية مقدسة. ترىٰ ماذا يصبح بحثنا هذا في نظره، وفي أي مكان يضعه في فلسفته؟.

المكان المقدس عند غرينبيرغ

وإذا كان الهيكل هو المؤسسة الأساسية في المرحلة الأولىٰ، والمعبد اليهودي مؤسسة المرحلة الثانية، فما هو المكان المقدس في المرحلة الزمنية الثالثة؟ المؤسسات الجديدة المقدسة هي المؤسسات الصهيونية: الكنيست، وجيش الدفاع الإسرائيلي، والكيبوتس، والجماعات الإسرائيلية، ومؤسسات الجباية اليهودية، والنصب التذكاري الإسرائيلي (ياد فاشيم)، بل إن بيت (متحف الدياسبورا) في إسرائيل ليس مجرد متحف وإنما هو تكرار طقوسي لقصة الدياسبورا وإعادة قصها في أسلوب علماني تعددي في الظاهر، ديني خفي في الباطن، فهو مخزون الذاكرة الدينية عند غرينبيرغ.. والظاهرة المقدسة في نتيجة فلسفته هي إسرائيل ويتوجب علىٰ اليهود الاعتقاد بقدسيتها ودعمها سياسياً ومالياً. وبتقديسه لإسرائيل وبدعوته لدعمها الدائم يكشف غرينبيرغ عن خديعته التي حملت ظاهرياً صورة الفلسفة، وكانت في حقيقتها منهاجاً سياسياً صهيونياً.

الحاخام الجديد عند غرينبيرغ

لقد كان الكاهن اليهودي هو الذي يشرف علىٰ إقامة شعائر المرحلة الأولىٰ، والحاخام هو الذي يشرف في المرحلة الثانية، فلابد أن تكون النخبة الصهيونية القائدة (السياسية والعسكرية) هي المشرف علىٰ إقامة شعائر المرحلة الثالثة حسب ما يراه غرينبيرغ. وبالفعل، لاحَظ جرسون كوهين أن كثيراً من اليهود يعتقدون أن إسرائيل هي معبدهم اليهودي، وأن رئيس وزرائها هو الحاخام الأكبر أو الكاهن الأعظم، والملاحظ دوماً أن كل الفلسفات اليهودية الجديدة تعتبر إسرائيل هي محور العقيدة ومحور الوجود اليهودي وتعتبر الدفاع عن إسرائيل هو أحد أركان اليهودية الجديدة. وما ذلك إلّا دليل علىٰ أن تلك الفلسفات كلها إنما خرجت لتدعم دولة إسرائيل. فلمّا كان الصهاينة بحاجة لأن يبرهنوا علىٰ امتلاك حقوق ليست لهم توجب عليهم أن يقنعوا الغرب والمسيحية ويهود الغرب أيضاً ليصبحوا سندهم، في تلك اللحظة المستمرة توجب علىٰ اليهود ابتداع فكر يكون مقنعاً للآخر ويكون برهاناً، فكانت هذه النتاجات الفلسفية الهدامة. وبواسطتها تتمكن إسرائيل من إقناع يهود الغرب بأنهم يحملون في الوقت نفسه انتماءين يكون أحدهما الانتماء للدولة الصهيونية (المقدسة) وبذلك يؤدي اليهودي الغربي خدمات كبيرة لإسرائيل ومنها التجسس لصالحها ونقل الخبرات العلمية السرية التي يمتلكها أو يجمعها أو يسرقها، وبهذه الطريقة تُمكّن إسرائيل من سرقة أسرار الصناعة النووية وأسرار العديد من الصناعات العسكرية.

ريتشارد روبينشتاين فيلسوف العنصرية

يذهب روبينشتاين باليهودية بعيداً جداً ويجعل منها مذهباً علمانياً جديداً لا صلة له باليهودية كديانة سماوية علىٰ الإطلاق، بل إنّ ماقام به روبينشتاين وغيره من اليهود هو التخطيط لمستقبل اليهودية كفكر علماني خالص انطلاقاً من مصطلحات يهودية توراتية، وإن الإبقاء علىٰ تلك المصطلحات لم يأت لداعٍ فكري بل لدواعٍ عنصرية

باعتبار أن العهد القديم هو الوعاء الذي يمكنه أن يجمع بين يهود العالم وأن يكون الورقة والوثيقة الدامغة التي تبرهن للآخر علىٰ أن لهذا الشعب حقوقاً وأحقية كأي دين سماوي آخر. إضافة إلىٰ أنّ قيام إسرائيل ووجودها ظلّ مبنياً علىٰ أسس توراتية.

إسرائيل كيانان:

ونلاحظ تطابق فكر روبينشتاين وغرينبيرغ بما يخصّ تقديس دولة إسرائيل وتقديس أعمال اليهود التي تخدم إسرائيل، وهذا الالتقاء عند الرجلين يجعل من فكريهما عملين يخدمان مطلباً واحداً، كان وراء تلك الفلسفة المزعومة وهو خدمة المشاريع الصهيونية. ولأنّ الصهيونية أدركت آنذاك بأنها لم تستطع أن تعيد كافة اليهود الأمريكيين وغيرهم. فقد ابتدعت صيغة تقدس أعمالهم وتجعلهم خدماً لمشروعها رغم ابتعادهم عن إسرائيل. فكانت هذه الفلسفة تبرر قدسية أعمالهم التي تصبّ في صالح إسرائيل وتدفعهم للانتماء إلىٰ إسرائيل بل وتجعلهم مقيمين في إسرائيل نفسها وإلىٰ جوار الرب اليهودي رغم ابتعادهم المكاني عنها، وهذا التلفيق الفلسفي يجعل من إسرائيل كدولة اغتصبت أرض فلسطين يجعلها كيانين وهما الكيان الموجود في إسرائيل والكيان المقيم خارج إسرائيل، وكلاهما يعمل وفق منهاج ومنظومة صهيونية واحدة. وبذلك أمكن إسرائيل الاستفادة الدائمة من يهود الخارج.بل إن قدرتها علىٰ الاستمرارية تأتي باستمرار من جهود وقدرات أولئك. ولو أن اليهود الأمريكيين والأوروبيين أوقفوا دعمهم لها لأصبحت إسرائيل في حكم الزوال السريع،

الإبادة هي هدم الهيكل:

نشر روبينشتاين كتابه في عام 1975 بعنوان مكر التاريخ. وينظر فيه إلىٰ الإبادة باعتبارها مجرد برامج تدار بطريقة بيروقراطية ترشيدية تهدف إلىٰ التخلص من الفائض السكاني الناجم عن الانفجار السكاني في العالم، ويرىٰ روبينشتاين أن يهود العالم محكوم عليهم بالاختفاء شاؤوا أم أبوا.ويتمادىٰ روبينشتاين كغيره في تحليل

الإبادة فيصل إلىٰ موت الرب وإلىٰ تقديس دولة إسرائيل، والحقيقة أن هذه العقلية تحكم اليوم دولة إسرائيل، فهم يقدسون إسرائيل وكل ما يتعلق بشؤونها. فيقدسون المواطنة والإقامة في إسرائيل ويقدسون الدفاع عنها كواجب ديني بل يعتقد الكثير من يهود العالم بأن رئيس دولة الكيان هو الحاخام الأكبر والأعظم لليهود. ويعتبر روبينشتاين أحد مفكري لاهوت موت الإله.

أصبح حاخاماً محافظاً عام 1952 في كلية اللاهوت اليهودية. وحصل روبينشتاين علىٰ الدكتوراه عام 1960 حيث كانت رسالته عن الوجدان الديني تحليلاً نفسياً يوضح فيها مخاوف حاخامات اليهود من إشكالية العجز اليهودي بسبب انعدام السلطة والسيادة بعد هدم الهيكل. وهدم الهيكل عنده هو حدث الإبادة.

التفسير الديني للإبادة عند روبينشتاين

صاغ روبينشتاين مساهمته في لاهوت موت الإله في كتابه المسمىٰ: آوشفيتز الذي صدر عام 1966 والذي يطرح فيه السؤال التالي:

إذا كان إله التاريخ موجوداً، فكيف يستطيع المرء إذن أن يفسر إبادة ستة ملايين من شعبه المختار؟

ويرفض روبينشتاين الفكرة التي يذهب إليها بعض اليهود الأرثوذكس القائلة بأن الشعب هو أداة الإله، ومن ثم فإن إبادته ذات مغزىٰ إلهي، كما أنها قد تكون عقاباً للشعب علىٰ انحرافه عن الشريعة والوصايا والنواهي ولتفسير واقعة الإبادة، يستخدم روبينشتاين نموذجين تفسيريين

الإله أوهم شعبه

يفسّر روبينشتاين الإبادة اعتماداً علىٰ النموذج الديني الحلولي فيرىٰ أن الإله أوهم الشعب اليهودي بأنه شعب مختار، وهو ما ساهم في استسلام اليهود للأحداث من

حولهم، وولّد في نفوسهم اليقين بأن الإله سيحفظهم وسط الدمار. بل إن العذاب والشتات، حسب هذا التصور، هي علامات الاختيار والتفضيل، الأمر الذي زاد سلبية اليهود فنسوا المقاومة. إذ كانت آخر مرة قاوم فيها اليهود هي فترة التمرد الحشموني. وقد هُزم اليهود وأصبح الفريسيون قادة اليهود رغم أنهم من دعاة الاستسلام، وأصبح العجز وعدم المشاركة في السلطة سمة أساسية لليهودية الحاخامية. لقد بدأت حالة وجود اليهود في المنفىٰ بالهزيمة العسكرية واستمرت لأن اليهود طوروا ثقافة الاستسلام والخضوع واستوعبوها وعاشوا داخل نطاقها، أي أن سر استمرارهم يكمن في خضوعهم وخنوعهم. وعبر هذا التاريخ الطويل ظهرت شخصية الوسيط، الذي يقوم بالتوسط لدىٰ الحاكم باسم اليهود ويقدم له الالتماسات ويطلب منه استخدام الشفقة مع اليهود ويعطيه الرشاوىٰ نيابة عن اليهود ويقوم بجمع الضرائب نيابة عنه واستمرت هذه التقاليد حتىٰ العصر الحديث في المجالس اليهودية في أوربا التي كانت تقوم بدور الوسيط بين الجماعات اليهودية والسلطات النازية إبان الحرب العالمية الثانية. وقد تعاونت هذه المجالس مع النازيين ونفّذت أوامرهم وتولت قيادة الجماعات اليهودية وساهمت أيضاً في إخلاء اليهود وترحيلهم إلىٰ معسكرات الاعتقال. وكل ما فعله النازيون هو استخدام القيادة الموجودة بالفعل. وكان خضوع اليهود لهم رد فعل آلي لأن اليهود اعتادوا علىٰ الخضوع.

الآلة والتكنولوجيا حيّدت الإله

يذهب روبينشتاين إلىٰ أن الإله خلق آدم ليحكم الطبيعة، ولكن التاريخ الإنساني الذي بدأ بآدم تزايد فيه الترشيد البيروقراطي، وهو اتجاه يصل إلىٰ ذروته مع انتصار التكنولوجيا النازية والآلة التدميرية العسكرية التي تنزع السحر عن الطبيعة، ومع هيمنة البيروقراطية النازية التي تحيِّد العواطف الإنسانية، أي أن الطبيعة والإنسان يصبحان مادة محضة وهو ما يعني موت الإله الذي يحرك الطبيعة.

ويصل روبينشتاين في نهاية المطاف إلىٰ موت الفكر الديني والفكر العلماني أيضاً.

أي أنه لا يحصّن شيئاً من الموت إكراماً للمحرقة بحدّ ذاتها. ونلاحظ كيف يقوم بتسخير فلسفته لترسيخ المحرقة والإبادة في عقول البشرية، إذ يقوم بتعميم كل الأحداث. فعندما يقول بموت الفكر الديني يزعم بموت شامل للفكر الديني عند الإنسانية، وعندما يزعم بموت الإله تصبح المسيحية أيضاً بدون إله. وهو لم ينس أن يموّت الفكر العلماني الذي ترىٰ الصهيونية بأن بقاءه يهدد استمرارها، وأنه لابد من تسخير العقيدة المسيحية لخدمتها.وليتم ذلك باستمرار توجب إبقاء المسيحية وحمايتها من العلمانية، وتحويلها إلىٰ مسيحية دينية صهيونية، ومن هنا نشأت المسيحية الصهيونية والذي يبلغ عدد أتباعها في الولايات المتحدة وحدها حوالي أربعين مليوناً.

الإله يأكل شعبه عند روبينشتاين

ويطرح روبينشتاين فكرة الإله باعتبار أنه العدم المقدَّس؛ وأنه الأم التي تأكل لحم أولادها والتي تلد البشر لتلتهمهم كما تفعل القطط. وهنا يعود بنا روبينشتاين إلىٰ العقيدة التوراتية وإلىٰ طقوس تقديم القرابين البشرية. ويربط بوضوح بين تلك القرابين وهذه الآخيرة التي أبيدت في آوشفيتز. ويكشف عن اعتقاد اليهود بأنهم قدموا قرابين بشرية في المحرقة ليلتهمها الرب حسب طقوسهم. ومن الملاحظ أنه رغم تفسيراته المغايرة لغيره من اليهود فإن روبينشتاين يحصر فكره ضمن دائرة تدعم أسطورة الإبادة وتقدسها وتدعم الكيان الصهيوني ومركزيته اليهودية.

ويقول روبينشتاين:

التاريخ الإنساني دورات متكررة، لا بَعْث فيه ولا آخرة، فالحياة تقع بين قوسي النسيان، وما الماشيَّح سوىٰ الموت، وذروة التاريخ الإنساني العبثي هي انتصار التكنولوجيا والبيروقراطية النازية.

ويعتبر في النتيجة أن اليهودية الجديدة ليست نسقاً دينياً، وإنما هي تركيبة فكرية (أسطورية) ذات فاعلية نفسية تُمكِّن اليهود من عملية المواجهة هذه. وهنا يظهر اعتراف

يهودي بأن عقيدتهم قد خرجت عن إطار الديانة السماوية وأصبحت مجرد عقائد دينية وضعية تعتمد علىٰ الفكر الفلسفي الذي ينتجه أتباعها. فأصبحت مذهباً فكرياً علمانياً جديداً كالنازية أو الماركسية أو الوجودية. وأنّ السبب الوحيد الذي يجعل هؤلاء الذين خططوا لليهودية الجديدة، يبقون علىٰ مصطلح الديانة لمدرستهم اليهودية الجديدة هذه هو ذلك السبب العنصري والجانب المتعلق بسياسة البقاء والدفاع عن الكيان الصهيوني.

وتشكل اليهودية الجديدة عودة للطبيعة وللإيقاعات الكونية للوجود الطبيعي. ولذا يدعو روبينشتاين كل يهودي للعودة إلىٰ أولويات الطبيعة.

والخلاص النهائي لا يكون بغزو الطبيعة من خلال التاريخ وإنما غزو التاريخ من خلال الطبيعة والعودة إلىٰ الأصول الكونية، وعلىٰ الإنسان أن يُعيد اكتشاف قداسة حياته الجسدية ويرفض تماماً محاولة تجاوزها: فيجب عليه أن يستسلم لجسمانيته ويتمتع بها. والصهيونية والعودة للتربة هي بشائر عودة اليهودي الذي فصله اللاهوت اليهودي عن الأرض والطبيعة. والصهيونية بهذا المعنىٰ تشير إلىٰ تحرير اليهودي نهائياً من سلبية التاريخ وعودته إلىٰ حيوية التجدد الذاتي من خلال الطبيعة.

وبتحرير اليهودي من القيود الدينية والمحرمات يقوده روبينشتاين إلىٰ التشرد الذهني واللامبالاة والعدمية، وهذا ما يفسر انتشار المفاسد والرذائل عند اليهود قبل غيرهم من الشعوب.

ويجب الاحتفال بالطقوس اليهودية والاحتفاظ بأصالتها الطبيعية والكونية وقدمها ويجب أن تتناقل الأجيال التراث اليهودي دون تغيير أو تبديل، بل يجب تأكيد الجوانب القربانية في اليهودية علىٰ حساب الجوانب العقيدية التي يسميها روبينشتاين البنيوية لأن القرابين تُوجِّه عدوانية الشعب وتقلل من إحساسه بالذنب. وهذه عودة كاملة للحلولية الوثنية القديمة. بل هو تعبير عن الحلولية بدون إله حيث يقوم الإنسان بكل الشعائر بهدف العلاج النفسي ليس إلّا. وبهذا يتحول المعالج النفسي إلىٰ كاهن عبادة جديدة يحل فيها محل الإله الذي تَوحَّد بالإنسان ومات.

ويرىٰ روبينشتاين أن الصهيونية هي أنقىٰ تعبير عن العقيدة اليهودية الجديدة، وأن جوهر الحلّ اليهودي هو دعم الصهيونية وتأييدها وتسخير كل العمل اليهودي لأجلها.

ورغم تطرُّف أطروحة روبينشتاين، فإنها تعبِّر عن النسق اليهودي السائد وخصوصاً اليهودية المحافظة التي تحكم إسرائيل. وأصبح من المؤكد لنا بأن روبينشتاين قام بتفصيل عقيدة يهودية جديدة معتمداً علىٰ مقاييس ومتطلبات الصهيونية ودولة إسرائيل.

الإشراك بالله والحلولية عند اليهود

يعتقد الكثير من المسلمين بأن اليهود يؤمنون بإله واحد وبأنهم موحدون لله كما هي الحالة عند المسلمين. لكن هذا الرأي خاطئ كل الخطأ. فاليهود يرون تعدد الآلهة ويرون حلول الإله بالشعب وبالأرض وبالأشياء، ولذلك فيهود هذا العصر ليسوا أصحاب ديانة سماوية علىٰ الإطلاق. بل هم وثنيون وملاحدة وكفار بكل معنىٰ الكلمة.

نلاحظ البعد الجماعي القومي في الآية التوراتية :« .. **الرب إلهنا..**»

وإن استخدام ضمير المتكلم بصيغة الجمع يعني حسب المفهوم اليهودي، أن الرب إله اليهود جميعاً بصفتهم كياناً واحداً. وهو ذو دلالة قومية جماعية عميقة، فهو يخصص الإله ويجعله مقصوراً علىٰ اليهود أو الشعب المختار الذي يحل فيه الإله. لكن تخصيص الإله لشعب معيَّن لا يفيد الوحدانية الخالصة ويجعلها تقترب من التغليبية. وهي نوع من التوحيد البدائي وهذا يفيد إلىٰ الإيمان بعدد من الآلهة يترأسهم إله واحد. وهو ما يحمل معنىٰ الشرك بالإله.

«**وتعبدوا آلهة أخرىٰ وتسجدوا لها**».

«**أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من مصر ليكون لكم إلهاً. أنا الرب إلهكم**»

«**وتكونوا مقدَّسين لإلهكم**». وهذا ما يجعلهم جزء من الآلهة نفسها.

«.. **الأرض الجيدة التي يعطيكم الرب..**» (تثنية 11/ 13 ـ 21)

وهنا يؤكد الرب علىٰ المكافأة المادية المباشرة التي سيمنحها الإله للشعب، لو أنه نفّذ الوصايا.

وبذا، تكتمل كل علامات الحلولية المتطرفة ، فثمة إله يحل في الشعب والأرض فيكتسب كلٌّ من الشعب والأرض قداسة.

وأن نص التوحيد اليهودي لا يشابه الشهادة الإسلامية، وهذا ينطبق أيضاً علىٰ كثير من الجوانب التي يُتصوَّر أنها مشتركة بين اليهودية والإسلام مثل الختان وقوانين الطعام.

وبعد إذاعة أسطورة الإبادة ازدادت قوة المفهوم الحلولي عند اليهود. وازداد مفهوم الشعب المقدس وأصبحت الصهيونية هي المرجع المركزي العقيدي فأصبحت الصهيونية نفسها تعبيراً عن الحلولية بدون وجود للرب نفسه.إذ تمت صهينة الديانة اليهودية عبر مجموعة من مفكريها الجدد.فأصبح التوحيد المنقول عن ما بقي في النصوص التوراتية يعني توحيد الشعب اليهودي نفسه.

نظرية نهاية التاريخ البشري

تحدثت نظرية نهاية التاريخ عن انتصار الليبرالية الرأسمالية علىٰ الاشتراكية واعتبرها الأمريكيون الأيديولوجية التي يتوقف معها جدل الإنسان والتاريخ. وإن هذه النظرية تعيد صياغة نظريات صهيونية تعود للقرن الـ19 وما قبله،عبّر عنها هيغل وماركس ونيتشه وغيرهم. وتتحدث عن أن مسار التاريخ هو مسار خطي متصاعد. وقد جاءت نظرية نهاية التاريخ الجديدة التي أطلقها الباحث الأمريكي من أصل ياباني (فوكوياما) كصيغة جديدة للفلسفة الصهيونية التي اعتقدت بأن المحرقة النازية هي نهاية التاريخ، وبأن تاريخ ما قبل المحرقة قد توقف عندها. وعموماً فأطروحات «نظرية النهاية» هي ظاهرة من ظواهر العالم الغربي المتأثّر بالصهيونية. وتكتسي ثوباً وجمالية عصرية، وثبت بأنها غير علمية علىٰ الإطلاق. وأنها تتحيز لرؤية تاريخ الجنس البشري من المنظور الصهيوني الذي تم منحه صفة الغربي وتتجاهل

المساهمات الحضارية الأخرىٰ، وهي وسيلة دفاعية للنسخة الحداثية الخاصة بالحضارة الغربية ضد التحديات التي تواجهها والتي يعتبرها الغرب تشكل تهديداً لسلامة وأمن الجنس البشري. ومن السمات الصهيونية لنظرية النهاية أنها تحاول نفي الدين وإعلان نهايته بينما الواقع البشري يشير إلىٰ عكس ذلك، فالعامل الديني يتصاعد عند المسلمين والمسيحيين في العقود الأخيرة. ونتج عن تلك النظرية محاولات تجديد للمسيحية بطريقة تخدم الصهيونية، إذ نكتشف بسهولة بأن دعوات تجديد المسيحية في الولايات المتحدة يعني ترجيح المسيحية الصهيونية علىٰ كافة الكنائس المسيحية الأخرىٰ. وتحت ذريعة العلمانية الحديثة يجري استقطاب المسيحية العربية. ويحمل تجديد المسيحية مبادئ التغلب علىٰ الفصل الثنائي بين الإله والطبيعة والعقل والوحي والأخلاق والنظم الاجتماعية. وحدث تقارب بين منظّري العلمانية والمرجعيات الدينية بحيث يدعم العلمانيون المناشط الدينية ويتبنىٰ رجال الدين «لاهوتاً» أكثر مرونة، وهذا اللاهوت المرن، ليس سوىٰ محاولة لتسطيح المسيحية الدينية، لتفسح المجال لسيطرة الصهيونية اليهودية. وهناك توجه جارف لبناء ما يسمىٰ **«لاهوت ما بعد الحداثة»** الذي لا يعادي العقل أو العلم أو المذاهب الأخرىٰ الدينية نظرياً، بل يعزل دورها ونفوذها في حقيقته. وإنّ لاهوت ما بعد الحداثة ليس سوىٰ نسخة أخيرة عن **«لاهوت مابعد آشويتز»** الذي ابتدعته الصهيونية اليهودية فيما سبق. وتجري في السنوات الأخيرة محاولات لنقل هذا المركز وهذه الفلسفة من الولايات المتحدة إلىٰ أوروبا مرة أخرىٰ عن طريق الوحدة الأوروبية.

ارتباط الأكذوبة بإعلان دولة إسرائيل

لقد ربط اليهود بين أمرين ، وكانا حدثين عالميين كبيرين، وهما:

1- إذاعة أكذوبة الإبادة،

2- هجرة اليهود إلىٰ فلسطين وإقامة دولة إسرائيل.

وقد تزامن ظهور هذين الحدثين في وقت واحد، وهذا التزامن الذي بينهما يدل

علىٰ وجود علاقة قوية ومتينة بين الأمرين وهي علاقة سياسية ودينية ، وهي أيضاً علاقة تحدد المصدر ، فلمّا كان مصدر الحدث الثاني توراتياً (ونقصد به قيام دولة إسرائيل) فانه لمن المؤكد أن يكون مصدر الحدث الأول توراتياً أيضاً. (ونقصد به الأكذوبة التي قامت علىٰ مصادر توراتية). وبالوقت نفسه فان الحدثين ارتبطا من حيث المنشأ، ومن حيث النتيجة. ويمكن شرح نتائج التحليل كما يلي:

- يوجد ارتباط مؤكد بين حدثين هما قيام دولة إسرائيل وإذاعة الأكذوبة
- قامت دولة إسرائيل بناء علىٰ مزاعم توراتية، والارتباط يعني أن إذاعة الأكذوبة جاء نتيجة مزاعم وعقائد توراتية.
- ارتبطت الأكذوبة مع قيام دولة إسرائيل من حيث النتيجة، وهذا يدل علىٰ أنه ثمة ارتباط بينهما من حيث نقطة البداية أيضاً، وهذا دليل آخر علىٰ أن للأكذوبة أصلاً توراتياً.
- كان مصدر الأكذوبة توراتياً لكن تمكن اليهود من تسخير الجانب السياسي في خدمة تلك الأكذوبة وفي إذاعتها وفرضها وفرض النتائج المترتبة عليها. وبالوقت نفسه فإن مبدأ العودة إلىٰ أرض الميعاد يحمل مصدراً دينياً وتوراتياً.
- كان مشروع تهجير اليهود قائم قبل اشتعال الحرب الثانية، وإن نجاحه واستمراره وتحقيقه من الناحية الدينية والعقيدية اليهودية كان يتطلب حدوث مبرر للرب ولليهود أنفسهم. فالعودة هي تحقيق يوم الميعاد اليهودي ولهذا اليوم شروط وأحداث وصفها ربهم في النصوص المقدسة كما يعتقدون .ولذلك توجب علىٰ اليهود إيجاد المبرر الديني وهو حدوث الإبادة.

وقد ابتدعوا هذا الحدث الأسطوري لأجلهم هم أنفسهم لالأجل الآخر . ولأنهم يعتقدون بأن الآخر بوهيمي وغويم وحيوان، فقد أوجبوا عليه طاعة أساطير ديانتهم التي يعتقدون بأنها الديانة الوحيدة الصحيحة والمتعلقة بالرب علىٰ وجه الأرض كلها. وتماشياً مع عقيدتهم يكون واجب الآخر الخضوع للأكذوبة والخضوع للشريعة الوحيدة التي ترتبط بالرب.

والنصوص التوراتية التالية تبين وعد الربّ لليهود بإعادتهم إلىٰ فلسطين وتمليكهم بلداناً عديدة:

«.. 10 ومتىٰ أتىٰ بك الرب إلهك إلىٰ الأرض التي حلف لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيك . إلىٰ مدن عظيمة جيدة لم تبنها. 11 وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها، وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها ..» عن سفر التثنية، الإصحاح السادس. وفي هذا النص يعد رب اليهود شعبه بأن يدخلهم إلىٰ بلدان ويملّكهم كل خيراتها. والنص يحمل عنصرية يهودية ووعداً ربانياً وتشجيعاً من ربهم بأن يأخذوا أملاك الآخرين وهذا ما فعلوه في فلسطين.ويقول نص آخر أيضاً: « ومتىٰ أتيت إلىٰ الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيباً وامتلكتها وسكنت فيها» عن سفر التثنية، الإصحاح السادس والعشرون.

ويستنكر الكثير من الحاخامات اليهود قيام دولة إسرائيل علىٰ أساس المحرقة النازية (53) فيقول الحاخام يسرائيل دوفيد فايس: «.. إننا نؤكد بأن الصهيونية العالمية تحاول استغلال دماء اليهود في تحقيق أهدافها العدوانية والخبيثة ضد الشعب الفلسطيني».

ويقول الحاخام موشية فريدمان: «.. إن إسرائيل دولة غير شرعية وندعو لإزالتها من الوجود...»

ويقول الحاخام البريطاني أهارون كوهين : «.. نحن اليهود الأورثوذوكس نؤمن بأن قيام دولة إسرائيل مخالف لتعاليم الدين اليهودي.. ولا يجوز استغلال الهولوكوست لتبرير تصرفات غير عادلة تجاه الشعب الفلسطيني..»

محكمة القيم الصهيونية

إن في العالم كله محكمة آداب وتأريخ وقيم وقوانين سياسية، تتمثل هذه المحكمة العليا بالحركة الصهيونية العالمية ، وبالمؤتمر الصهيوني وبدولة إسرائيل وبالماسونية العالمية. وهذه المحكمة بدأت تتدخل منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتىٰ يومنا هذا

بكل سياسات وقرارات الدول العالمية. وقد أصبح دور هذه المحكمة فعّالاً بعد أن نجحت أسطورة المحرقة، فكانت حجّتها المعلنة هي الحفاظ علىٰ الكيان اليهودي من التصفية العرقية وما سمي باللاسامية.وقد تطورت هذه المحكمة عالمياً بطريق تصاعدي مستمر وكانت أهم أعمالها علىٰ التسلسل هي:

1. خلق أسطورة الإبادة والمحرقة
2. وبحجة الإبادة المزعومة ضغطت تلك المحكمة المتطرفة علىٰ قرارات الحكم في محاكمة نورنبيرغ فتم انتزاع أقوال وشهادات مزورة وتم الحكم علىٰ مئات من النازيين القدماء بالإعدام.
3. قامت دولة إسرائيل بفضل ضغوط تلك المحكمة الضاربة.
4. تمت معاقبة ألمانيا وتقسيمها وفرض شروط عديدة عليها ومن بينها منح إسرائيل تعويضات عن خسائرها المزعومة.
5. وبحجة منع تكرار عملية إبادة اليهود، صنعت المحكمة الصهيونية فرق القتل والإعدام والإرهاب،التي نشطت في كافة مناطق العالم، فقامت تلك الفرق بقتل واختطاف وملاحقة العلماء والمفكرين والسياسيين والضباط الألمان النازيين في كل مكان في العالم.
6. قامت تلك المحكمة بما يسمىٰ التطهير. ففي فرنسا وحدها، تم قتل 48 ألف شخص بين 1945 و 1946 أي خلال سنة واحدة تقريباً.وهؤلاء القتلىٰ كانت الصهيونية تتهمهم باللاسامية وبالمشاركة في اضطهاد اليهود وإبادتهم أثناء الحرب.
7. وفي أوروبا والولايات المتحدة قامت تلك المحكمة بما تسمّيه تطهير وسائل الإعلام من العنصرية واللاسامية، وتحت تلك الذرائع تم الاستيلاء علىٰ الصحف والمجلات والمسرح والسينما والتلفزة والإذاعة ودور النشر وغيرها. حتىٰ أضحت كل تلك الميديا صهيونية خالصة.

8. وبالطريقة نفسها استمر عصر الإرهاب الإسرائيلي الموجّه ضد العرب والمسلمين، وعلىٰ الأخص الفلسطينيين. ونلاحظ باستمرار كيف تتخذ الدول القوية قرارات شديدة التكلفة إرضاءً لإسرائيل. فإن الغزو الأمريكي للعراق ومنع إيران من إنتاج الوقود النووي، والنزاع الأمريكي الإيراني وكل ما نتج عن ذلك إنما جاء بهدف حماية دولة إسرائيل.

9. إن التطورات العصرية الجديدة وانكشاف الأباطيل الصهيونية، وتحرر الإعلام العالمي، وولادة أجيال بشرية حرة لا تقبل بالخضوع والذل، كل ذلك ينبئ بقرب نهاية العصر الصهيوني الخرافي.

قانون جيسو

استطاع الصهاينة أن ينتزعوا من حكام الغرب قانوناً يظلم أبناء الغرب ويحقق مصالح الصهيونية وحدها، وكان ذلك قانون جيسو ويحمل الرقم 43 وقد صدر في مايو 1990 ويُجرِّم هذا القانون أي تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الإنسانية بإضافة المادة 24 مكرر إلىٰ قانون حرية الصحافة عام 1881، جاء فيها: «**يُعاقب بإحدىٰ العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة 24، كل من ينكر وجود أي من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة 6 من النظام الأساسي للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع في 8 أغسطس** 1945». وبسبب فرض هذا القانون فإن عدداً كبيراً من الدراسات والتساؤلات والتحقيقات المتعلقة بالإبادة لم يتم حسمها حتىٰ الآن من قبل دعاة الإبادة أنفسهم رغم مرور العقود عليها بل تم منع البحث فيها وتحريمه دولياً. ومن ذلك قضية حقيقة حدوث الإبادة وعدد الضحايا وكيفية الإبادة وقضية العلاقة الصهيونية بالنازية وغير ذلك. وبالوقت نفسه فهم لا يسمحون بإجراء أية دراسات جديدة تحقق في الإبادة وهذا ما يبرهن علىٰ قناعتهم بأكذوبة الإبادة نفسها. وظلّ الإعلام الغربي والصهيوني يُهاجم بشدة كلّ الكتابات والأبحاث ، العلمية وغير العلمية، ويشجبها بعصبية واضحة، ويهيج

ضدها بطريقة غوغائية، ويوجه الاتهام لكل من تسوّل له نفسه أن ينكر الإبادة أو يثير الشكوك حول موضوع الملايين الستة حتىٰ لو كان من العلماء المتخصصين، مع العلم بأن هناك دراسات كتبها علماء إسرائيليون يُعبّرون فيها عن شكوكهم بخصوص رقم ستة ملايين. ونحن لا ندري لماذا يسمح لأولئك بإجراء أبحاث وشكوك وتحقيقات ولا يسمح لنا نحن بإجراء أي بحث في القضية.فبعد سقوط الاتحاد السوفييتي أصبحت وثائقه متاحة للدراسة. ولعل حالة ديمانجوك الذي - اتُّهم فيما مضىٰ بأنه إيفان الرهيب والذي اتُّهم بالإبادة - تدل علىٰ ضرورة كشف الحقائق وفتح كافة وثائق الحرب. فقد كانت كل الدلائل التي جمعها الأمريكيون والإسرائيليون تبيِّن أن ديمانجوك هو إيفان الرهيب . ولكن بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، ظهرت وثائق تبيِّن بما لا يقبل الشك براءته.

وبناء علىٰ قانون جيسو أصبح المحظور الوحيد تقريباً في دول الغرب القوية، هو مناقشة تاريخ المحرقة، ولأسباب كثيرة وعديدة ومنها أعمال الإبادة التي قامت بها الصهيونية في أوروبا كلها بعد الحرب الثانية، أصبح المحظور الوحيد والمحصن والذي يخشىٰ المواطن الغربي تناوله هو موضوع الإبادة. كنّا جميعاً نعتقد بأن المواطن الغربي يتمتع بحرية التفكير والتعبير عن الرأي، لكنه في الحقيقة يمتلك كلَّ الحرية في إدانة حاكمه، وفي انتقاد المسيحية بل ونسفها إذا شاء، وفي التحدث بأية سياسات إذا شاء، لكنه ممنوع عليه الخوض في المحرقة وأبعاد تحريمها. واليوم وعندما تبادر أي مواطن غربي بالحديث عن المحرقة فإنه يتلعثم ويتملص ويحمرّ وجهه خوفاً ورهبة ورعباً.ولن يقدر علىٰ مناقشتها بحرية وسلاسة. وهذا الرعب الذي يتملكه، إنما هو عقدة الخوف من الصهيونية التي فتكت بالأوروبيين الذين اتهمتهم بالانحياز للنازية. وكان ذلك درساً كبيراً ومستمراً للأوروبيين جميعاً.ومن خلال مبادرات حوارية كثيرة أجريتها مع الأوروبيين توصلت إلىٰ نتيجة مفادها أننا إذا أردنا أن نخسر صداقة الغربي ونقطع علاقتنا معه إلىٰ الأبد فعلينا أن نبادره بحديث عن المحرقة.

obeikandi.com

لقد أصبح الغربي مقدساً للمحرقة، وأصبح تقديسها عنده أعظم شأناً من قداسة ديانته المسيحية وكافة معتقداتها وطقوسها. لأنه يجرؤ علىٰ التطاول علىٰ كافة أركان عقيدته وبالوقت نفسه لا يجرؤ حتىٰ علىٰ الخوض في عقيدة المحرقة.!!.

بعد انعقاد مؤتمر طهران الخاص بمناقشة المحرقة في نهاية العام 2006 ، وبفضل الضغوطات الصهيونية الكبيرة، قام العالم كله ضد إيران، وزحفت القوات الأمريكية إلىٰ الخليج العربي تهدد بضرب إيران وتدمير مفاعلها النووي. وبسبب تلك الضغوطات رأينا تراجعاً إعلامياً وتكتيكياً في الخطاب الإيراني الرسمي كله. فبعدما كانت إيران تنفي حدوث الإبادة أصبح خطابها الجديد لا يحمل نفياً للإبادة بل يرفض أن يدفع العرب الفلسطينيون ثمن تلك الإبادة لو أنها حصلت. ففي جنيف ألقىٰ وزير خارجية إيران مانوشهر متّقي كلمة بتاريخ 13 آذار قال فيها: «.. لماذا يدفع الفلسطينيون ثمن إبادة خمسة آلاف من اليهود في أوروبا؟. ولماذا تغتصب أرضهم بالذات ويتعرضون باستمرار للاضطهاد الصهيوني؟..» إن هذا التراجع الملموس في الخطاب الإيراني الرسمي يدلّ علىٰ قدرة ونفوذ الضغوط الصهيونية الواسعة النطاق التي مورست علىٰ طهران، وتدل أيضاً علىٰ استجابة حكام دول العالم لها. ولمّا قامت الصهيونية بنشاطات شملت العالم كله للضغط علىٰ طهران فهذا يعكس أهمية ترسيخ الأكذوبة والإبادة بالنسبة للصهيونية نفسها، ويصبح قارئ هذا الكتاب بالنسبة لها أخطر مشروع ثقافي يهددها.

لقد فرض الصهاينة تقديس المحرقة ووضعوه فوق تقديس الإسلام والمسيحية، إذ تسمح القوانين الغربية بالإساءة إلىٰ الإسلام وإلىٰ النبي الكريم وإلىٰ مقدسات المسلمين جميعاً، ولا تسمح بأي بحث أو نقاش في قضية الهولوكوست. ومن هنا يصبح لزاماً علىٰ المسلمين محاربة تقديس المحرقة بكل أبعادها وفرض المقدسات الإسلامية في العالم كله.

وإن فرض الصهيونية قداسة عالمية علىٰ عقيدة المحرقة منذ اليوم الأول لتاريخها

لهو أكبر دليل علىٰ ما نسعىٰ لإثباته في هذا البحث وهو أنّ المحرقة عقيدة توراتية قديمة لا حدث تاريخي ولا جريمة نازية..!!..

ويزداد تقديس المحرقة تعسفاً في أوروبا فقد ذكر البروفسور روبير فوريسون في مؤتمر طهران بأن زميلاً له في السوربون لم يناقش المحرقة ولم ينكرها بل أبدىٰ برأيه في ضرورة السماح بمناقشتها، فأدىٰ ذلك إلىٰ فصله من الجامعة. وقال فوريسون: «أنا فرنسي، هذا صحيح، وهنا أجرينا حوارات ومناقشات حرة وصريحة وعبّرنا عن آرائنا، لكن هناك في بلدي التي تسمىٰ مهد الحرية لا نستطيع أن نتحاور فيها بحرية».

تناقض الروايات الصهيونية للإبادة

حتىٰ إذا أخذنا بالرواية الصهيونية للإبادة وقمنا بتفحص عناصرها فإننا سنجد تناقضات كبيرة نضيفها إلىٰ هذا البحث:

بالنسبة للمسؤولية عن الجريمة: تُخضَع الإبادة النازية لعمليتين متناقضتين:

- يتم تضييق نطاق المسؤولية إلىٰ أقصىٰ حد بحيث تصبح الإبادة النازية جريمة ارتكبها الألمان وحدهم ضد اليهود.
- وبالوقت نفسه وفي الروايات الصهيونية أيضاً يتم توسيع نطاق المسؤولية إلىٰ أقصىٰ حد بحيث تختفي كل الحدود وتصبح الإبادة النازية ليهود أوربا جريمة كل الأغيار بشكل مطلق، أو جريمة كلٍّ من الألمان والأغيار، أو الألمان باعتبارهم أغياراً، أو الألمان بموافقة وممالأة الأغيار أو المسيحيين الغربيين ضد اليهود الضعفاء والأقلية. ولم يكتف الصهاينة بإدانة الألمان والغرب المسيحي وحده بل قام بعضهم بإدانة العرب والأتراك والمسلمين وتحميلهم بعضاً من المسؤولية. كما فعل ناتان ياهو، ولم تأت إدانة العرب إلّا لهدف تعميق الكراهية اليهودية للعرب وتبرير مجازر إسرائيل ضدهم.

وفي النتاج الفلسفي يتم تعميم نتائج الإبادة علىٰ البشرية كلها وعلىٰ الكونية وعلىٰ

وجود الرب اليهودي نفسه. فتصبح الإبادة هي لحظة انقطاع الزمن الكوني ولحظة العدمية التاريخية، وتصبح هدماً لهيكل الرب ولقدسية الرب، بل وإبادة للرب نفسه. وتصبح البشرية بدون رب حسب روبينشتاين وغرينبيرغ وغيرهم.

وبالنسبة للضحية نفسها في الرواية الصهيونية:

تُخضَع الإبادة كذلك لعمليتين متناقضتين تماماً:

- يتم تضييق نطاق الجريمة إلىٰ أقصىٰ حد بحيث تصبح جريمة موجهة ضد اليهود وحدهم، لا ضد الملايين من الشعوب. فالصهيونية حتىٰ اليوم لا تعترف ولا تعير أية أهمية لخمسين مليون قتيل في الحرب العالمية الثانية. بل تعتبر أن الضحية الوحيدة فيها كانت اليهود.
- يتم تعميم الجريمة إلىٰ أقصىٰ حد بحيث تصبح جريمة موجهة ضد كل اليهود، وإضافة لهذه التناقضات الواضحة فإن الصهيونية تقرر ما يناسبها وما يناسب نزعتها كحركة عنصرية وككيان صهيوني في إسرائيل، فنلاحظ أن النقاط الأربعة السابقة قد تم تثبيتها لأنها تخدم الكيانين .وعندما يقال ليهود العالم أنهم مستهدفون من الغير وأنهم كانوا الضحية فذلك يربطهم بدولة الكيان. وبعد أن تم تعريف الإبادة بهذه الطريقة، وبعد أن تم التلاعب بالمستويات التعميمية والتخصيصية وضبطها بما يتفق مع مصلحة الغرب، قام الغرب بأيقنة الإبادة،

أيقنة الإبادة وعقدة الذنب عند الألمان

قال دان داينر:

- إن آوشفيتز هي أرض لا يمتلكها أحد، هي فراغ يبتلع كل التفسيرات التاريخية.

وتعليقاً عليه يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري:

أصبح آوشفيتز هو المعيار المطلق الذي يُحكَم من خلاله علىٰ التاريخ، ولا يمكن أن يصبح هو نفسه جزءاً من التاريخ (48) ولكن مثل هذا الكلام الأجوف له معنىٰ

داخل الخطاب الحضاري الغربي بسبب عملية الأيقنة التي سلّمت بالإبادة.

وأخطر ما في المشكلة أن الأيقنة ليست مقصورة علىٰ المفكرين اليهود وإنما تشمل أعداداً كبيرة من غير اليهود . وهم هؤلاء الذين تأثّروا بالفلسفة اليهودية الجديدة وصاغوا فكراً موازياً لها.

فالإبادة بهذا المعنىٰ أصبحت من المسلّمات، التي تُشكّل فهْم الإنسان الغربي المسبق، شأنها في هذا شأن إحساس الغرب بمركزيته في القرن العشرين أو الإيمان بالتقدم المادي وتحقيق الذات باعتبارهما الغاية النهائية لوجود الإنسان في الأرض والمسلمات هي الركيزة الأساسية للنموذج، فهي التي تحدد حلاله وحرامه، وما هو مقدَّس وما هو مدنَّس. ومن ثم أصبح التساؤل بشأن الإبادة هو تساؤل بشأن إحدىٰ المسلمات أو المقدسات أو المطلقات، ولعلّ تثبيت التهمة علىٰ الألمان جعل الألمان خصوصاً والأوروبيين عموماً يحملون شعوراً دائماً ومتوارثاً بعقدة الذنب الكبير وعقدة قيامهم بالإبادة أي إتيانهم للمحرّمات وللأعمال اللا إنسانية علىٰ الإطلاق، وشعورهم بعدم تمكنهم من التكفير عن أخطائهم بأية طريقة كانت.

ومن نتائج هذه الفلسفة الوضعية التدميرية أننا نلاحظ بأن الألمان خصوصاً والغرب المسيحي عموماً يتجه مرغماً مبتعداً عن الطريق التي تصله بالله والدين واللاهوت. وهذا ما حصل فعلاً في المجتمع الغربي إبان انتهاء الحرب وتقسيم ألمانيا. (48) وهذا دليل علىٰ نجاح المشروع الفلسفي الصهيوني بتحقيق الأهداف التي ابتغاها، أو جزء منها.

تناقض في المحظورات والمسموحات

لقد جعلت الصهيونية من عقيدة الإبادة أيقونة مقدّسة وفرضت تقديم تقديسها علىٰ كافة المقدسات الأخرىٰ بما في ذلك المقدسات الإسلامية والمسيحية،واستجابت دول الغرب المسيحية لهذا الفرض الصهيوني الصارم والظالم. ففي الغرب لا يحاكم أي

مواطن ينتقد قداسات مسيحية أو إسلامية، وبالوقت نفسه يحاكم إذا انتقد قداسة المحرقة أو الإبادة. ونلاحظ هذا التناقض عند المواطنين الغربيين عموماً. فكل غربي تقريباً يسمح لنفسه بانتقاد كافة المقدسات المسيحية بما فيها عقيدة الصلب ونصوص الأناجيل وبالوقت نفسه فإنه هو بتكوينه يمتنع حتىٰ عن الخوض في موضوع الإبادة..!!. لكنه مسيحي وليس يهودياً ولا صهيونياً، فكيف تصبح الإبادة بالنسبة له أمراً مقدساً؟؟. ذلك هو ما فعلته الصهيونية بالمسيحيين الغربيين. ففي الغرب ينتجون أفلاماً تُعرِّض بالسيد المسيح عليه السلام مثل فيلم «سكورسيزيScorsese الإغواء الأخير للمسيح»، وأعمالاً فنية مثل لوحة الفنان «أندريه سيرانوAndre Serrano» الشهيرة بعنوان «لنتبول علىٰ المسيح (Piss Christ)حيث وَضَع الفنان صورة المسيح علىٰ الصليب في البول، وعرضها في معرض قامت الدولة بتمويله، إن كانوا يفعلون ذلك فلم لا يقبلون بفتح ملفات الإبادة؟ والرد علىٰ هذا هو أن السيد المسيح لم يعد ضمن المقدسات، أما الإبادة فقد أصبحت ضمن المقدسات بل هي قدس الأقداس.

فقد استطاعت الصهيونية أن تغزو العقل المسيحي الغربي في كافة أوساطه، حتىٰ الكنيسة البابوية.حتىٰ أصبح من أهم وظائفها تحصين المقدس الصهيوني، بل وتفضيله علىٰ المقدس المسيحي نفسه.ففي العام 2001 وعندما زار قداسة البابا القدس الشريف قام بوضع قصاصة ورقية في جدار المسجد الأقصىٰ والذي يعتبره اليهود حائط المبكىٰ، وكان فيها اعتذار بابوي تاريخي عن إبادة المسيحيين لليهود في ألمانيا. أي إنه اعتذار المسيحية لليهود. وبذلك الاعتذار كان البابا يوحنا بولس الثاني يقدّس الإبادة في عقيدته المسيحية.!.

ومن الناحية السياسية فإن الأحداث تدل علىٰ التمادي الكبير في أيقنة الإبادة. في إسرائيل نفسها. وفي دول الغرب يقدم إلىٰ المحاكمة وتنتقص من كرامة توني بلير وجيمي كارتر ويتعرض جورج بوش للمساءلة القانونية، ويحاكم صدام حسين ويعدم شنقاً، ويسمح بكل تلك المساءلات والتحقيقات في عالم سياسي هو نفسه

لا يتجرأ علىٰ البحث والمساءلة في قضية الإبادة.

وفي هذا العالم كادت الولايات المتحدة تبدأ حرباً ضروساً علىٰ إيران الإسلامية وذلك استجابة لرغبة إسرائيل بالانتقام من إيران التي أعلنت عن نكرانها للإبادة، والتي دعمت مشاريع البحث في أساطيرها المزعومة.

لماذا وافق حكام العالم على تلك الأكاذيب؟

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، كان حكّام الدول المنتصرة في موضع حرج، فهم يريدون طي صفحة الحرب ووضع حدّ لكل الأسباب التي قد تعيد الشعوب والأعراق إلىٰ أجواء الحرب وأهوالها. كما توجب عليهم أن يمسحوا من ذاكرة الشعوب كل الجرائم وأعمال الإبادة التي ارتكبوها أثناء الحرب وقبلها. فالولايات المتحدة أطلقت القنابل الذرية علىٰ المدن اليابانية وقتلت أعداداً كبيرة من المدنيين الأبرياء، وتلك جريمة إنسانية بشعة.

وقام الأمريكيون أنفسهم بقتل وإبادة مائتي ألف جندي ألماني كانوا متراجعين ومقهقرين في يوم 13 شباط 1945 وتمت إبادتهم بوحشية كبيرة باستخدام القنابل الفوسفورية. لكن اليهود الذين استوطنوا في أرض فلسطين تابعوا أعمال الإبادة العرقية في الأرض العربية، وارتكبوا عشرات المجازر الوحشية التي كانت تحمل طابع التطهير العرقي للأرض وإزاحة الشعب العربي ليستوطن مكانه الشعب اليهودي، وبذلك كان اليهود الصهاينة يكررون المجازر البشعة التي ارتكبتها الدول الغنية من قبل.

وقبل ذلك كان أبناء الغرب قد أبادوا ستين مليوناً من الهنود الحمر وهم الأبناء الأصليين للقارة الجديدة، وأبادوا حوالي مئة مليون من الزنوج في أفريقيا.

لقد أراد الحلفاء المتصرون بإبادة الكثير من الألمان الأبرياء وإقناع العالم بأنهم فعلوا ذلك ليضعوا حداً نهائياً للعرقية الألمانية ويمنعوا النازية من الظهور مرة أخرىٰ؛ ولأن المنتصر يستطيع أن يفرض علىٰ المهزوم كل قراراته فقد فرض الحلفاء علىٰ ألمانيا

المهزومة قرارات عديدة كان أهمها تقسيم ألمانيا إلىٰ دولتين، واعترافها بأنها أبادت اليهود، وإجبارها علىٰ دفع تعويضات مالية لدولة إسرائيل. وإنّ هذا الضغط الكبير علىٰ الألمان عاد علىٰ الفرد الألماني بنتائج خطيرة جداً فأصبح أكثر الأوروبيين بعداً عن الإيمان بالله، وأكثرهم وداعة وخضوعاً للضغوط. ومن هنا نفسّر فوز حزب الخضر بانتخابات رئاسة الحكومة ونيله أغلبية الأصوات الألمانية، ذلك لأن أحزاب البيئة والنظريات المشابهة لها حلّت محل الفكر الديني. إذ لا يستطيع الفرد العيش بدون مبادئ سامية. فاتّخذ مبادئ بديلة عن الدين المسيحي والإسلامي. وبدأت ملامح الخضوع الألماني بالزوال في السنوات الأخيرة. إذ يستمر الحديث عن ظاهرة زيادة الأسلمة في ألمانيا وكثير من الأحيان يحدث ذلك دون وجود داعية أو ناشط إسلامي. فحسب إذاعة DW الألمانية الحكومية فإن عدد الذين اعتنقوا الإسلام عام 2005 هو ألف ألماني، وإن هذا العدد تصاعد بسرعة كبيرة في العام 2006 فبلغ أربعة آلاف معتنق للإسلام.

ومن جهة ثانية فقد رغب الحلفاء ضمناً بإتمام المشروع القديم . وهو مشروع هتلر نفسه الذي كان قد بدأه قبل الحرب العالمية الثانية. والذي كان أفضل حل أوروبي صهيوني لمشكلة اليهود الطويلة الأمد. حينما كان يهجّر يومياً 400 يهودي من ألمانيا إلىٰ فلسطين. المشروع الذي يهدف إلىٰ التخلص من يهود أوروبا ومن كونهم العثرة الدائمة ومولد المشاكل والعقبات الاجتماعية والسياسية في داخل المجتمعات الغربية. ولأنهم أيضاً كانوا وراء ظهور العنصرية الألمانية النازية. ولأن اليهود لا يقدرون علىٰ التمازج في المجتمعات الغربية أيضاً، فقد رغب الحلفاء بالتخلص منهم وتهجيرهم إلىٰ أرض فلسطين. لكن ذلك المشروع الغربي لم ينجح حتىٰ هذا العام 2007 .

فبعد أكثر من نصف قرن علىٰ قيام دولة إسرائيل، لم يستوطن فيها أكثر من خمس يهود العالم. ولم يعرف اليهود يوماً هادئاً وسلمياً طوال تلك العقود. وكذلك لم يرتح العالم كله من مشاكل اليهود المتطرفين، بل إنها ازدادت وكبر نفوذ الجماعات الصهيونية

المتطرفة، وكثرت أعمالها داخل دول الحلفاء نفسها. فكثيراً ما سمعنا عن اكتشاف جواسيس يهود في أمريكا وفرنسا وألمانيا وروسيا وغيرها من الدول.

ولأن الأكذوبة كانت عملاً يتعلّق بالعقيدة والشريعة اليهودية، ولأن كافة اللاعبين الأوائل كانوا يكتشفون تلك الحقيقة، فإن موافقة حكّام الدول المنتصرة علىٰ لعب دور ديني يتعلق بالعقيدة والشريعة اليهودية، يدلّ علىٰ ارتباطهم بتلك العقيدة بشكل من أشكال الارتباط. فإما أن يكون بعضهم يهوداً، أو أنهم أنفسهم مرتبطون باليهودية عبر منظمات ماسونية كانت ومازالت حاضرة وتلعب أدواراً كبيرة في خدمة الصهيونية المتطرفة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن أغلبية زعماء الغرب يقومون بزيارات خاصة للمجمّعات الماسونية قبل خوضهم الانتخابات الرئاسية. ويتم إعلان ذلك في الصحف والإذاعات دون ضرورة للتسرّي به. وأثناء انتخابات الرئيس الفرنسي أعلنت إذاعة مونت كارلو بأنه قام بزيارة إلىٰ المحفل الماسوني في باريس لطلب الدعم منه ولكسب الجولة الانتخابية كما جرت عادة المرشحين للرئاسة.

ومن ضمن أسباب سكوت الغرب عن الأكاذيب الصهيونية ذلك أن الصهيونية نفسها استطاعت التغلغل داخل الكنيسة الغربية نفسها وداخل العقيدة المسيحية في أذهان الغربيين، وبفضل هذا التغلغل جعلت عقيدة الإبادة تعادل عقيدة الصلب المسيحي وشريعة البقاء (الصهيوني والإسرائيلي) شريعة دينية مقدسة ولا يمكن للمسيحيين تجاوزها. كما واستطاعت الفلسفة الصهيونية المخادعة أن ترسّخ نفسها كقيم مسيحية وعالمية، وكلّ ذلك كان يحدث في أثناء غياب الطرح الفكري الإسلامي في دول الغرب والولايات المتحدة.واليوم وبعد بروز الفكر الإسلامي ووصول معانيه إلىٰ أبناء تلك الشعوب نعتقد بأنه سيكون للبعض منهم بمثابة الحل والمنقذ من المتاهات الصهيونية الكثيرة. وهنا تبرز أهمية دور المسلمين جميعاً وأهمية نشاطاتهم في التعريف بالإسلام.

لماذا تم تقديس الإبادة في الغرب؟

إن ثمة خطاباً غربياً وصهيونياً موحداً فيما يتصل بالإبادة، ولا يختلف الخطاب الصهيوني عن الخطاب الغربي العام إلّا في التفاصيل، فهما يكادان يكونان وجهين لعملة واحدة.

وتتلخص خصوصية الخطاب الصهيوني في تعميق الجوانب اليهودية وفي إضافة ديباجات يهودية دينية وإثنية كثيفة علىٰ كافة الأحداث والمصطلحات والمفاهيم المسيحية. فالخطاب الصهيوني ينزع - هو الآخر - حادثة الإبادة من سياقها الحضاري والتاريخي الغربي، ويتلاعب بالمستوىٰ التعميمي والتخصيصي، فيُحوِّل واقعة الإبادة من جريمة ارتكبتها الحضارة الغربية ضد مجموعات بشرية داخلها إلىٰ جريمة ألمانية أو جريمة الأغيار ضد اليهود.

وانطلاقاً من مفهوم الشعب المختار والحلولية اليهودية التي تسبغ القداسة علىٰ اليهود وحدهم، تُعمِّق عملية التخصيص فتتحوَّل الإبادة من قضية اجتماعية تاريخية إنسانية إلىٰ إشكالية غير إنسانية تستعصي علىٰ الفهم الإنساني، وإلىٰ سر من الأسرار يتحدىٰ العقل، وإلىٰ نقطة نهائية ميتافيزيقية تتجاوز الزمان والمكان والتاريخ. وبناء علىٰ هذا المفهوم المعقّد أصبح من غير الممكن في الخطاب السياسي الغربي والصهيوني معاً تشبيه إبادة أية أقلية بإبادة اليهود.

وأثناء كتابة هذه الأسطر أعلن في اسبانيا وفي حدث لم يسبق له مثيل أن إحدىٰ المدن الاسبانية حوّلت الاحتفال التقليدي من ذكرىٰ المحرقة اليهودية إلىٰ ذكرىٰ ضحايا الإبادة الصهيونية في فلسطين(49) وهذا دليل علىٰ بداية الانفلات الغربي الرسمي من الهيمنة الصهيونية عليه، وعلىٰ السير في طريق ونهج يرفض تقديس الإبادة.

أسباب أيقنة الإبادة

بداية لابد من الإشارة إلى أن أيقنة الإبادة كان أخطر سلاح وتحدٍ تم توجيهه للعرب والمسلمين وخاصة الشعب الفلسطيني نفسه. وإنه لا يمكن الفصل بين هذين الأمرين المتلازمين في الأصل. وبالتالي فلايمكن أن يقول العربي أو المسلم بأن موضوع الإبادة يخص الصهيونية وحدها وينفصل عن قضيتنا نحن.وأن الربط بين الإبادة واغتصاب فلسطين هو حقيقة صهيونية. فإذا اعتقد العربي أو المسلم العالمي أو المسيحي العربي بأن الإبادة حدث تاريخي حقيقي فإنه بذلك يعطي إسرائيل حق اغتصاب فلسطين وحق إبادة العرب والمسلمين.

إن الغرب كله يمتلك عقيدة الإبادة ويمارسها، وقد مارسها هو نفسه منذ قرون ومارسها في الحرب الثانية . ويمكن إدانة الغرب كله بعدائه لليهود وبممارسة عدائية واضحة لا لبس فيها قبل الحرب وأثنائها.

وإن الفكر الصهيوني نفسه الذي ظهر قبل الحرب وأثناءها كان يحمل طابع العدائية والتدميرية والإبادة،في هذا الإطار يمكن اكتشاف تورط كثير من الشخصيات الفكرية الأساسية في الحضارة الغربية (مثل هايدجر) مع النازيين، ويمكن التحقيق في تصرف أيزنهاور الذي أمر بضرب القطارات التي كانت تقل اليهود إلى معسكرات الاعتقال والسخرة، ورفض الدول الغربية فتح أبوابها للمهاجرين اليهود .فإبراز تورط هايدجر وغيره قد يشير إلى تورط الحضارة بأسرها وقد يقوض المعنى الغربي المفروض على الإبادة. والحقيقة هي أن الغرب كله والصهيونية كانوا أمام قضية يدركون هم جميعاً بأنها كاذبة ويريدون أيقنتها. فكان لهم ما يريدون لأنهم القادة الذين يقررون وليس لأي اعتبار آخر. وإن ضرورة الأيقنة إنما كان أمراً مفروضاً عليهم ليبرروا من خلاله كافة المجازر التي ارتكبوها والتي أصبحت إسرائيل آنذاك عازمة على ارتكابها. والمجازر الأخرى التي ارتكبها الغرب بعد ذلك في لبنان وأفغانستان والبوسنة والعراق والصومال.وليكون هذا التبرير

خاصاً بالتاريخ وبالشعوب فحسب.

وكانت الأيقنة تبرر جريمة تاريخية كبيرة يفعلها الغرب وهي منح الصهاينة أرضاً ليست لهم والسماح بطرد وإبادة شعبها. إذ أعطىٰ الحلفاء أرض فلسطين لليهود واعترفت الأمم المتحدة بدولة إسرائيل. ومنحت ألمانيا تعويضات لتمويل الدولة الفتية. وحتىٰ يومنا هذا لم تنتهِ قضية الشعب الفلسطيني والنضال الفلسطيني، وبالتالي فلا يستطيع الغرب الاعتراف بجريمته. وهذا يعني أنه لا يستطيع أن يرفع التقديس عن ذكرىٰ الإبادة. ويقول الدكتور عبد الوهاب المسيري:

إن فتح باب الاجتهاد بخصوص الإبادة يعني في واقع الأمر فتح باب الاجتهاد بخصوص الأساس الفلسفي الذي تستند إليه الحداثة الغربية بأسرها. ومن هذا السكوت المتعمّد عن جرائم الغرب نفسه اضطر الغرب للسكوت عن الإبادة.

وإن الغرب نفسه كان متورطاً في القضية اليهودية كلها، فالغرب كان يرفض استقبال اليهود الذين طردهم هتلر من ألمانيا، والغرب كان من قبل الحرب الثانية يعدّ مشاريع للتخلص من اليهود وتقضي تلك المشاريع بتهجيرهم عن أوروبا. وبعد نهاية الحرب منحتهم بريطانيا وعد بلفور لتوطينهم في فلسطين.

إن المشكلة التي لأجلها دعىٰ الغرب إلىٰ أيقنة الإبادة مازالت قائمة حتىٰ اليوم، بل وقد تولدت عنها مشكلات سياسية كبيرة، وتلك هي قيام دولة صهيونية في أرض فلسطين. وإن بقاء مشكلة قيام إسرائيل معلقة حتىٰ اليوم واستمرار النزاع بشأنها واستمرار المقاومة الفلسطينية والعربية والإسلامية كل ذلك يمنع الغرب من كشف الحقيقة، وهي جريمتهم بمساندة الصهاينة الذين ارتكبوا جرائم كبيرة في فلسطين.

وإن اعترف الغرب بأن الإبادة لم تكن سوىٰ أكذوبة فسينتج عن ذلك تورطه في كل الجرائم الصهيونية. وإن السياق السياسي للأحداث الأخيرة يدل علىٰ زيادة تورط الغرب في مساندة الصهاينة وارتكاب جرائم جديدة لأجلها. ومن ذلك غزو أفغانستان وغزو العراق، وتهديد إيران، وهذا يعني أن الغرب لن يمضي في طريق

كشف الحقائق بل يستمر في التورط بالجريمة.

والحقيقة أن كل المشكلات السياسية الأخيرة التي نشأت بين المسلمين والغرب بل إن قيام جماعة القاعدة في تدمير مبنىٰ التجارة العالمي في نيويورك، وتدمير قطارات في إسبانيا، وإن كل النزاعات الأخيرة بين أمريكا والعرب والمسلمين كانت نتيجة للتورط الغربي مع الكيان الصهيوني ولمساندته له.

اليهود حققوا أعلى المكاسب من الحرب العالمية الثانية

لعل من أغرب نتائج الحرب العالمية الثانية تلك التي حققها اليهود فخرجوا بمكاسب لا تضاهىٰ، مكاسب لم تحصل علىٰ ما يوازيها تلك الدول العظمىٰ التي صنعت السلاح وحاربت ودفعت مئات الآلاف من القتلىٰ، وتهدمت مدنها.

1. لقد حقق اليهود أقلّ وأدنىٰ الخسائر من الحرب العالمية الثانية، وبالوقت نفسه نالوا أعلىٰ المكاسب .
2. وقف اليهود موقف العداء لهتلر في زمن الحرب وتحالفوا مع الدول القوية التي كتب لها النصر.
3. خدع اليهود شعوب العالم كله بأكذوبة المحرقة
4. خدع اليهود رب اليهود بخديعة مفادها أن الشعب اليهودي قد أحرق وأبيد، ويتوجب علىٰ رب اليهود أن يعينه ويخلّصه ويقيم له دولة في أرض الميعاد. وسنثبت هذا الرأي في الصفحات التالية في هذا الكتاب.
5. لجم اليهود أفواه حكام العالم كله آنذاك فأجبروهم علىٰ تأييد حدوث المحرقة.
6. أخرجت اليهودية المتطرفة صورة أسطورية من التوراة لا يستطيع العقل الواعي في القرن العشرين أن يؤمن بها، وجعلتها حقيقة وفرضتها علىٰ أذهان وعقول البشر المعاصرين.وألزمت الجميع بترسيخها في الأذهان بل ومنعت بقوة أية محاولة للتفكير أو التشكيك بها.

7. أجبر اليهود حكام العالم منذ قيام دولة إسرائيل وحتىٰ اليوم بسنّ قوانين تمنع البحث في أكذوبة المحرقة وكشف الحقيقة وبمنع توجيه أي انتقاد للصهيونية.

8. كسبت إسرائيل موطناً لليهود، وقيام دولة إسرائيل.

9. كسبت الحركة الصهيونية تعويضات مالية كبيرة ساعدتها آنذاك في إنشاء دولة إسرائيل.

10. مارست الصهيونية سياسة التطهير العرقي والإبادة والطرد ضد الشعب الفلسطيني وأجبرت شعوب وحكام العالم علىٰ السكوت عن جرائمها الوحشية.

11. استطاعت الصهيونية أن تفرض في العالم كله (عدا دول المواجهة مع إسرائيل) قوانين تجعل كل ما هو يهودي فهو محصّن وكل ما هو صهيوني وإسرائيلي فهو محصّن من الانتقاد أو السخرية أو البحث، هذا في زمن وفي مجتمعات لم تعد تحصّن شيئاً آخر من الانتقاد أو البحث.

الصهيونية ترفض تهجير اليهود الألمان:

انعقد مؤتمر ايفيان في سويسرا عام 1938 بناء علىٰ دعوة الرئيس الأمريكي روزفيلت، لتسهيل تهجير اليهود من ألمانيا. وحضرته ثلاثون دولة آنذاك. وقالت غولدا مائير ممثلة الوكالة اليهودية في المؤتمر: «. نطلب من جميع المؤتمرين عدم فتح أبواب دولهم أمام المهاجرين اليهود إليها فإما أن يهاجروا إلىٰ فلسطين أو أن يبقوا في معسكرات الاعتقال النازية..» ويثبت هذا التصريح أنه لم تكن هناك أية خشية علىٰ إبادة اليهود في المعتقلات والكانتونات النازية.وأنه لم تكن تحدث في تلك المعتقلات أية إبادة حسب رؤية كافة المؤتمرين في إيفيان.

وفي العام 1944 انعقدت اجتماعات سرية في إستانبول وفيها عرضت ألمانيا النازية إجلاء كافة اليهود من المعسكرات النازية مقابل تعويضات قدرها عشرة آلاف سيارة وعدة أطنان من الشاي والقهوة، فرفضت الحركة الصهيونية تلك المبادلة بحجة أنها تدعم المجهود الحربي الألماني. وهذا دليل آخر علىٰ عدم حدوث الإبادة.

تاريخ اليهود تاريخ الكذب

ليست هذه أول أكذوبة عالمية يبتدعها اليهود ويسوّقونها للعالم، بل إنهم ابتدعوا وسوّقوا أكاذيب تاريخية شديدة الخطورة،وفي هذا السياق لابد من التذكير بأن نصوص وتعليمات العهد القديم لا تمنع علىٰ اليهود الكذب والغش والاحتيال علىٰ شعوب العالم بل إنها تشجعهم علىٰ اتباع كافة الطرق الخبيثة بكل أنواعها للتغلب علىٰ الشعوب الأخرىٰ. ومن ذلك الكذب الذي أصبح أحد سمات الشخصية اليهودية. وإن تاريخ اليهود كله هو تاريخ الكذب، ولن نجد فيه شيئاً غير الكذب.

1. **الكذب اليومي**: في كل يوم يلاحظ المراقب أكاذيب جديدة تفتعلها الحكومة الصهيونية، وأصبح الكذب أحد ميزات الإعلام الصهيوني. فأحياناً تنشر الصحف أخباراً عن مفاوضات سلام سورية إسرائيلية سرية، وعلىٰ الفور يكذّب الصحيفة أطراف عديدون. كما وتنشر الإذاعة الصهيونية أخباراً كاذبة عن الدول العربية. وفي زمن الحرب اعتاد المواطن العربي علىٰ عدم تصديق الإعلام الصهيوني وكافة بياناته.
2. **الكذب علىٰ الأنبياء**: كان اليهود يكذبون علىٰ الأنبياء ويكذبون علىٰ الله، وتؤكد ذلك نصوص العهد القديم نفسها، والعديد من الآيات القرآنية الكريمة.
3. **أكذوبة اللغة العبرية**: يدّعي اليهود بأن لغتهم العبرية قد وجدت قبل دخولهم أرض فلسطين، (القرن الثالث عشر ق م) ويطلقون عليها عبرية التوراة، في حين أن العبرية التي كتبوا بها التوراة مشتقة من الآرامية وتلك لم تظهر إلّا بعد أكثر من ستمائة سنة علىٰ دخول اليهود أرض فلسطين.(41)
4. **تزوير القطع الأثرية**: في بحثهم عن هيكل سليمان الخرافي والذي لا وجود له قام الصهاينة منذ قيام الكيان الصهيوني بالبحث والتنقيب عن آثار عبرية تثبت وجود الهيكل فلم يحصلوا علىٰ شيء. فلجؤوا إلىٰ تزوير قطع أثرية وتوزيعها علىٰ متاحف عالمية ليثبتوا للشعوب وللتاريخ أحقيتهم بأرض فلسطين، وهم

بذلك يخدعون العالم والتاريخ والثقافة والفكر ويخدعون أنفسهم ويخدعون العقل اليهودي نفسه. وقامت لجان عالمية متخصصة بالآثار بفحص تلك القطع الأثرية التي توزعها الدولة العبرية وأثبتوا زيفها . كما وتحدث علماء آثار ومؤرخون يهود من داخل الكيان الصهيوني نفسه عن تلك القطع المزورة الكثيرة. وعن الخبث والخطر في تزويرها.(43)

5. **تزوير واسع للتاريخ**: قام اليهود بتزوير الكثير من الحقائق التاريخية طوال العصور الماضية، وجعلوها تتناسب مع مزاعمهم بالحق في استيطان أرض فلسطين. ومن ذلك تزوير نصوص العهد القديم التي تتعلق بأسماء المواقع والمدن وتواريخ الأحداث ونشاطات الشعوب ويقول الدكتور أحمد سوسة: (إن كذبة تاريخ اليهود هي أكبر كذبة في التاريخ البشري (42) وقد اعترف الباحث الفرنسي جان لويس برنارد بذلك وقال: ونتحسس كل التحسس أن الأحبار قد اقتبسوا من تواريخ الأقطار التي جاسوا خلالها بعض الحكايات فعبرنوا كل المعلومات ولكن لماذا كانت هذه اللصوصية من قبل اليهود؟ (41)

6. **الأكذوبة الفلسفية**: وهي تسخير نتاج فلسفي ضخم لخدمة المشروع الصهيوني، في أيقنة الإبادة على الصعيد العالمي كله، وفي تخريب العقيدة المسيحية وإزاحة عقائد الإيمان بالله وفي منح إسرائيل وكافة كياناتها قداسة إلهية تحلّ محل قداسة الرب اليهودي.

7. **نقض العهود**: ومن صفات الشخصية اليهودية نقض العهود والمواثيق، ونلاحظ ذلك في كافة أعمال المؤسسة الصهيونية، فبرغم صداقتهم المعلنة مع دول الغرب القوية، نجدهم ينشرون جواسيس داخل تلك الدول ويسرقون معلومات كبيرة، ولعلّ من أشهر ما سرقه الجواسيس الصهاينة: سرقة مخططات ومواصفات طائرة ميراج من مصانعها في فرنسا، وسرقة تقنيات نووية من دول غربية عديدة. ويصفهم الله سبحانه أفضل وصف في هذه الآية الكريمة:

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة2/ 100].

8. **تزوير حديث لنصوص العهد القديم:** تابع اليهود في العصر الحديث تزوير نصوص العهد القديم بالشكل الذي يتناسب مع سياسة ومزاعم الدولة الصهيونية في استعمارها للأراضي العربية.والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة جداً وقد درسها العديد من المختصين ، ولنأخذ بعضاً منها:

- « **14 فقال الله لموسىٰ أهية الذي أهية**» عن سفر الخروج، الإصحاح الثالث ، طبعة عام 1993 منشورات حول العالم.
- «**14 أهي أشر أهي**» طبعة عام 1625 وطبعة عام 1844
- «**فله الأزلي الذي لا يزال**» طبعة عام 1811.
- «**الأزلي الذي لا يزال**» طبعة أخرىٰ في عام 1811
- «**أهي الذي أهي**» طبعة عام 1970.

ونلاحظ الاختلافات في الآية نفسها ، تلك التي ينشأ عنها اختلاف في المعنىٰ، ويذكر بأن علاقة اليهود مع الشعوب الأخرىٰ تميزت طوال العصور بأعمال غش وخداع ونفاق ومراءاة من جانب اليهود.

فليس جديداً إذاً علىٰ اليهود أن يبتدعوا في القرن العشرين أكذوبة الإبادة النازية ويسوّقونها للعالم كله.

وفي كثير من النصوص التوراتية يعتبر الرب أن يهوده أفّاقون في الكذب ولذلك فهو لا يأخذ بكلّ أفعالهم وأقوالهم. وكثيراً ما يلحّ عليهم بفعل ما يأمرهم ويؤكدّ ذلك مرات عديدة لأنه يعرف كذبهم.وعلىٰ الدوام فرب اليهود لا يصدق شعبه ويطلب منهم البراهين. فيطلب منهم مثلاً أن يحرقوا الأضحية أمام الرب أي أمام ناظريه ، وألا يحرقوها داخل مبنىٰ المحرقة فهناك لا يرىٰ أفعالهم. وتقول النصوص : «تحرقونه أمام الرب.» لأنكم تكذبون فلا يصدق الرب إذا ما كذبتم عليه وقلتم بأنكم أحرقتم

obeikandi.com

الأضحية داخل مذبح المحرقة. ولاشك في أن هذه النصوص التي وضعها متخلفون يهود عززت فعل الكذب عند اليهود. ومن هنا ندرك أنهم ببساطة شديدة يمكنهم أن يؤمنوا وأن يعتقدوا بأنهم يخدعون الرب ويكذبون عليه عندما يبتدعون أساطير الإبادة النازية.

ونلاحظ باستمرار اعتياد الصهاينة اليهود علىٰ الكذب وإدراجهم الكذب في كافة تصريحاتهم اليومية بدون استثناء. فكلما تابعنا برنامجاً إعلامياً حوارياً، تتجلىٰ لنا بوضوح أكاذيب المتحدث الصهيوني. وهم يجرؤون علىٰ الجهر بالكذب فتأتي الأكذوبة مخالفة لوقائع وشهود ونصوص وأحياناً لفيلم تسجيلي رآه العالم كله علىٰ شاشات التلفزة. ومن الأفلام التي كذّبها الصهاينة : فيلم يعرض قتل الأسرىٰ اليهود وعرض في مطلع آذار 2007، وفيلم يعرض استخدام العرب كدريئة في أعمالهم العدائية في الأراضي الفلسطينية.

الشخصية اليهودية عبر العصور

في القرآن الكريم يصف الله سبحانه اليهود أفضل وصف يستحقونه ويقول:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران3/ 113].

فمنذ عصرَ النبي موسىٰ (عليه السلام) كان اليهود ينكرون نعم الله عليهم ويكفرون برسالته السماوية ويحرّفونها، وكانوا يتحدّون موسىٰ ويتحدّون ربه كما يثبت ذلك القرآن الكريم وتثبته أيضاً نصوص العهد القديم المزورة التي بين أيدينا اليوم.

وفي هذه الآية القرآنية الكريمة يصفهم الله حين تحدّوا شريعته ونبيه موسىٰ، فأنزل الله عليهم صاعقة، ثم لم يؤمنوا واتخذوا العجل.

﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ [النساء4/ 153].

وداخل المجتمعات العالمية ظلّت الشخصية اليهودية عرضة للنقض والسخرية واللوم علىٰ الدوام. فعند توجيه انتقاد لشخص ما اعتاد الأوروبيون والعرب علىٰ وصفه أحياناً باليهودي. إذ يقول الأوروبيون والعرب لشخص غير مرغوب بوجوده: (اخرج إنك يهودي) أو يقولون عن شخص كذوب: (كاذب يهودي) وكان اليهود طوال العصور حجر عثرة في المجتمعات الغربية، وكانوا هم الفئة المكروهة والمغضوب عليها باستمرار في أوروبا.

وفي العصر الإسلامي الأوروبي، وفي ظلّ تسامح المسلمين مع الآخرين، وبفضل اعتبارهم لليهود أصحاب ديانة سماوية منح اليهود حريات وسلطات لم يعرفوها في أوروبا طوال فترة إقامتهم فيها، فازدهرت تجارتهم وكبرت أرصدتهم، وتمكنوا من السيطرة علىٰ الصناعة والتجارة والإنتاج الزراعي ونظام الإقراض، وبعد انهزام المسلمين واندحارهم عن أوروبا ظلّ اليهود محافظين علىٰ ثرواتهم التي مكّنتهم من التقرب إلىٰ السلطة والسلاطين.

اتسم مسلمو الأندلس بالانفتاح الحضاري الواسع علىٰ الآخر،وبالتسامح وبالقابلية للاندماج الاجتماعي والثقافي والفكري. وبفضل ذلك التسامح الإسلامي عرف يهود الأندلس أعظم ازدهار في تاريخ اليهودية كلّه. وللتعرف علىٰ ذلك الانفتاح نتصفح كتاب **ثقافة التسامح في إسبانيا الوسيطة** الذي صدر في العام 2002، لمؤلفته الكاتبة الإسبانية مينوكال التي تقول:

اختار اليهود الأندلسيون طريق الاندماج في الثقافة العربية الإسلامية، وانفتح الباب علىٰ مصراعيه أمام وجوههم، حتىٰ بلغوا أعلىٰ المراتب عن جدارة وكفاءة، وبرز منهم من وصل منصب وزير الخليفة. ويعتبر حسداي بن شبروت المزداد بقرطبة عام 915 نموذجا لثقافة الاندماج والتسامح، وهذا بعد أن كانوا يحتلون أسفل المراتب

الاجتماعية والثقافية في عهد القوط المسيحيين. ومع ذلك لم تؤاخذ العشيرة اليهودية حسداي علىٰ النجاح الذي حققه داخل الخلافة، بل بقي «ناصي» العشيرة وأميرها، وكان يرتفع شأنه في كل سنة، فعاش اليهود حالة التفتح والرخاء التامين. ومن مظاهر تأثير الاستعراب في الثقافة اليهودية والديانة اليهودية عودة الحياة للعبرية وخروجها للمرة الأولىٰ منذ آلاف السنين من المعابد لتصبح متعددة الاستعمال، وتنظيم شعر حي يفيض بالعذوبة والجمال.

تقول المؤلفة بهذا الخصوص «كان أقرب إلىٰ المعجزة أن تتمكن العبرية من جديد من نظم شعر حي، قد نقول عنه إنه عريق، وقد تأتّىٰ ذلك من أن العديد من اليهود الذين ازدهروا في الخلافة العربية التي كانوا يحسّون أنهم ينتمون إليها، وجدوا أنفسهم الآن في عالم مختلف تماماً عن السابق. في أرض الهجرة هذه، بعيداً عن خلافة قرطبة، اكتشفوا من جديد موروثهم الخاص الذي كان مستتراً منذ زمن، ورأوا أن لغة التوراة تستحق، مثل لغة المسلمين –التي اشتركوا معهم فيها منذ زمن– أن تتجاوز حدود الصلاة» فتجاوزت الصلاة إلىٰ الغزل والحب وغير ذلك.

وإنّ ظهور ما سمي بمشروع الحل النهائي للمشكلة اليهودية يدل علىٰ الاستياء الكبير من وجودهم داخل المجتمعات الأوروبية. وكان زعماء الصهيونية يدركون تلك الكراهية ويصرحون بوجودها، ويعترفون بها. ولذلك جاء المشروع الصهيوني بالهجرة إلىٰ فلسطين كحل لمشكلة نبذ اليهود داخل المجتمعات الغربية وذلك حسب وجهة نظر الصهاينة أنفسهم.

وفي العصر الحالي، مازالت المجتمعات الغربية تنبذ اليهودي المواطن داخلها، وتنظر إليه بعين السخرية والازدراء والاستخفاف. ويلاحظ العرب المغتربون وجود هذه الحالة.

وقد كنت في ساحة عامة في باريس أحضر عرضاً فنياً وكان عدد الحضور يزيد عن 500 شخص وهم سياح من كافة الجنسيات العالمية، وكعادته اختار الفنان واحداً

من الحاضرين وجعله على منصة العرض وسأله من أية دولة أنت؟ فأجابه الآخر: من إسرائيل. فضحك جميع الحاضرين ضحكة سخرية واستخفاف. وأثناء الأداء أعاد الفنان عبارة إسرائيل عدة مرات وفي كل مرة كان يُضحِكُ المتفرجين جميعاً.

وفي الآداب الأوروبية، في الرواية والمسرح انتقد كثير من الأدباء الغربيين الشخصية اليهودية، ولعلّ أهم من عالج عيوبها كان الكاتب الانكليزي **(وليم شيكسبير في مسرحيته تاجر البندقية)** الشهيرة والتي ظهرت في القرن الخامس عشر، وقد جعل شيكسبير من شايلوك اليهودي بطل مسرحيته ووصفه بهذه الصفات:

- يعادي ويكره المواطنين المسيحيين وديانتهم.
- يأخذ الربا من المسيحيين وهو حرام.
- يمتلك رغبة كبيرة بأخذ دم المسيحي واقتطاع قلبه من صدره.
- يتصف بالغباء والتخلف والبلادة.
- يتصف بقلب قاس وجشع وحاقد وماكر.

ولنقرأ ما يقوله أنطونيوس في مسرحية تاجر البندقية في وصف اليهودي:

وإن عناده وبغضاءه لا يوصفان أبداً
وإنك بمحاورتك له ياباسانيو:
كأنك تقف على الشاطئ
وتأمر البحر بإيقاف المد والجزر
وكأنما تسأل الذئب عن سبب
افتراسه للدجاجة أو النعجة الباكية
بل وكأنك تسعى لتليين أقسى
مادة من بين المعادن والحجارة
وهي قلب يهودي.
فاصبر يا صديقي

ولن تقدر علىٰ فعل شيء لأجلي

وسيأكلني اليهودي بكرهه

وليرحمني الرب.

وهذا الوصف الذي يراه شيكسبير نجده في سورة البقرة، ومما لاشك فيه بأن شيكسبير قد اطلع علىٰ ترجمة لنصوص القرآن الكريم واعتمد عليها في فكره ونتاجه.

يصف الله سبحانه وتعالىٰ قساوة القلب اليهودي، ويشبهها بأعتىٰ من قساوة الحجارة، فالحجارة نفسها تلين وتتشقق وتتكسّر وتنفجر منها الأنهار، لكن قلب اليهودي لايلين مثلها.

يقول الله سبحانه في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة2/ 74].

وفي مسرحية شيكسبير يقول دوق البندقية وهو يرجو اليهودي شايلوك أن يعفو عن أنطونيوس المسيحي ويترك له لحم جسده فلا يذبحه ولا يقتطع قلبه من صدره:

الدوق: تفضل يا شايلوك اسمع ما أقوله لك:

نعتقد أنك ستتراجع في الدقائق الأخيرة

عن كرهك الأعمىٰ لهذا الرجل الطيب

وأنك ممكن أن تشفق عليه

وأن تتحلىٰ ببعض الإنسانية

وتترك له لحمه

وتعفيه من نصف دَينه

وإن قساة الترك والمغول والتتار

يلينون في مثل هذه الحالة

وإن الذين صنعت قلوبهم من نحاس مقسّىٰ

يعطفون علىٰ هذا التاجر الذي خسر أملاكه.

فنرجو منك الموافقة والتسامح.

وفي مسرحية أنطونيوس وكليوباترا تخاطب الملكة رسولاً جاءها يحمل أخباراً تزعجها عن حبيبها أنطونيوس ، فقامت بضرب الرسول وهددته بالعقوبة الكبيرة له وتابعت الهزء به فاتهمته باليهودية كما نرىٰ في المقطع التالي: كليوباترا: اهرب من أمامي

أيها التاجر اليهودي.

فبضاعتك التي حملتها من روما.

باهظة الثمن بالنسبة لي.

ترىٰ المسيحية التقليدية أن اليهود هم الذين صلبوا المسيح وتحقد عليهم تاريخياً. وقد تبدّل هذا المفهوم عند مسيحيي الغرب في العصور الوسطىٰ ، إذ اعتبر اليهود شهوداً علىٰ قدسية الإله.وفي أوروبا كان المجتمع الغربي طوال عصور يعتبر اليهود عالة ومتطفلين علىٰ الشعوب الغربية وكان يستمر السعي للتخلص منهم، وكان وضعهم في تلك الدول كوضع الغجر والأقليات الأخرىٰ المنبوذة. وكان بعض اليهود يرتكبون جرائم ذبح أطفال مسيحيين في أوروبا، ويصنعون من دماء الأطفال الذكور فطيراً يعتبرونه مقدساً وواجباً، ويقدّمونه للرب. ويعتبرون أن الرب هو الذي أمرهم بذلك. وقد حدثت عدة مرات في بلدان المشرق العربي سرقة أطفال ذكور بكر وقتلهم وانكشفت تلك الجرائم وعوقب اليهود عليها، وفي بلاد الشام سادت منذ مئات السنين عادة الخوف من خروج الطفل وحده وتغيبه عن البيت واعتاد الناس تحذير أولادهم من الخطف والذبح الذي يقوم به اليهود. وما تلك العادة إلّا نتيجة أعمال الخطف التي قام بها يهود سفاحون.

وإن أحداث خطف الأولاد تسببت في العديد من الدول الأوروبية بانتشار كراهية لليهود وذعر منهم. بل وقد صدرت قوانين عديدة تحدّ من تنقلاتهم ونشاطاتهم بسبب تلك الجرائم. ولنذكر الآن بعضاً منها:

1. ففي القرن الرابع الميلادي وفي عهد القيصر قسطنطين طرد اليهود من بعض المقاطعات الروسية لأنهم أقدموا علىٰ صلب طفل يوم الجمعة الحزينة.
2. في عام 1914 أقدم يهود سورية علىٰ صلب عدد من الأطفال المسيحيين ونفّذ بهم حكم الإعدام.
3. في القرن السابع الميلادي طرد اليهود من مدينة أنطاكية السورية لأنهم أقدموا علىٰ قتل الأسقف أنستاسي وعدد من الأطفال المسيحيين.
4. في العام 1067 ألقىٰ عدد من سكان مدينة براغ التشيكية ستة يهود لأنهم أقدموا علىٰ قتل طفل مسيحي.
5. في العام 1172 صلب اليهود طفلاً مسيحياً، وفي العام 1178 صلبوا طفلاً آخر فانكشفت الجريمة. حيث ألقي الطفلان في نهر لوار. وتم إحراق اليهود القتلة.
6. في العام 1175 قتل اليهود طفلاً مسيحياً آخر فأقدم الأهالي علىٰ حرق عدد من الحاخامات اليهود، وفي العام 1180 وبسبب تكرار الجرائم اليهودية صدر أمر ملكي يقضي بطرد جميع اليهود من فرنسا
7. في العام 1255 خطف اليهود طفلاً مسيحياً وعذبوه وصلبوه، ولمّا عثر علىٰ جثته تفجرت موجة غضب عارمة ضد اليهود، فسحل أحدهم علىٰ الفور واقتيد تسعون يهودياً إلىٰ لندن ونفذ فيهم حكم الإعدام. (وإن مئات من هذه الجرائم مثبتة ومعروفة، ويمكن الاطلاع عليها بدقة)

ولهذه الأسباب العديدة ظهرت في أوروبا فكرة التخلص من اليهود. وقبل الحرب العالمية الثانية ظهرت فكرة إرسالهم إلىٰ فلسطين، وبالفعل فقبل قيام الحرب العالمية الثانية وبالاتفاق مع حكومة الرايخ كانت المنظمات الصهيونية اليهودية تهجّر اليهود إلىٰ فلسطين باستمرار، وقد بلغ الرقم الأسبوعي للمهجرين اليهود إلىٰ 400 يهودي. ثم رأىٰ هتلر بأن يفرض عليهم الإقامة في مناطق أوروبا الشرقية. ثم ظهر مشروع إرسالهم إلىٰ مدغشقر. وبعد انتهاء الحرب وحين أعطت بريطانيا لهم وعد

بلفور، ورغم أنها كانت تقدم خدمة للصهيونية آنذاك. إنما كانت بريطانيا ودول الحلفاء يقومون بمشروع إبعاد اليهود عن بلدانهم والتخلص منهم.

وحين قامت المنظمات اليهودية الضاغطة بمنع انتقاد أسطورة المحرقة والتشكيك فيها وبسنّ قانون يتهم باللاسامية كل شخص ينتقد الشخصية اليهودية، إنما كانت تلك المنظمات تنتقم لأعمال السخرية والنقد التي كانت توجه للشخصية اليهودية طوال قرون، وترسم شخصية جديدة لليهودية ، شخصية يحرّم انتقادها في العالم كله. وتمحو كلّ المهانات التي ظلّت توجه لليهود طوال تاريخهم الطويل. لكن لأن الشخصية اليهودية لم تتطور ولم تتحسن في حد ذاتها، فإن تلك المهانات بقيت توجّه إليها.

لكن بالنتيجة وبقيام دولة إسرائيل فقد ظهرت شخصية صهيونية يهودية أكثر قتامة ووحشية من تلك الشخصيات اليهودية القديمة التي نسمع عنها. بل إنه بقيام هذه الدولة أصبح للشر دولة وللباطل دولة وأصبح لسفاكي الدماء دولة تبرر كل جرائمهم..وبالمقابل فقد ظلّت الانتقادات والعيوب توجّه للشخصية اليهودية حتىٰ يومنا هذا. وبهذا خسرت الشخصية اليهودية كل الأوراق. وزادت الجرائم الصهيونية وأصبحت عاراً علىٰ اليهودية. وسيبقىٰ هذا العار يلاصقها طوال العصور القادمة. ورغم أن الصهيونية كسبت قيام دولة هزيلة فإنها مازالت وستبقىٰ علىٰ الدوام مهددة بالزوال. وفي كل يوم نسمع تصريحات منْ الصهاينة أنفسهم تشكو من هذا التهديد القوي والحقيقي بالزوال.

يقول الكاتب الأمريكي مارك كوهين (51) :

عانىٰ اليهود علىٰ مر تاريخ المسيحية الأوروبية من الاضطهاد والعداء للسامية.

كانت المسيحية القديمة في منافسة مباشرة مع اليهودية التي كانت تعيش في اطمئنان في ظل الإمبراطورية الرومانية، ومنذ ذلك الوقت كان الصراع مع اليهودية يعتبر من خصائص التعريف الذاتي للمسيحية. وعلىٰ العكس من ذلك فقد كان اليهود في أوروبا المسيحية محسوبين علىٰ أمراء منفردين، وكانت هناك قوانين عنصرية خاصة

تفرض علىٰ اليهود كإجبارهم علىٰ الإقامة في مناطق خاصة بهم، وبناء عليها كانوا «خارج» المجتمع، وكان بإمكان الأمير إلغاء تلك القوانين في كل وقت. وكانت تلك خطوات وأعمالاً تؤدي إلىٰ فصلهم ونبذهم وإبعادهم عن المجتمع المسيحي ككل. وكانوا يتعرضون للمذابح الجماعية وللتشريد في مدد قصيرة نسبياً. ولأن المسيحية القديمة كانت لا تحبذ جمع الثروات ولا تهتم بمال الدنيا، في وقت كان اليهود فيه يجمعون الثروات باستمرار الأمر الذي جعلهم مشبوهين كتجار- وكانوا في الحقيقة مشبوهين. وعندما بدأ التجار النصارىٰ في الظهور بازدياد، كانوا ينظرون إلىٰ اليهود نظرة المنافسين. وبهذا كان الوضع الأمني لليهود يتدهور في زمن الرخاء الاقتصادي. أما في ظل الحكم الإسلامي فقد كان الرخاء والأمن بين اليهود يعكس وضع المجتمع كله. وكان اليهود مضطهدين في مسيحية العصور الوسطىٰ ، حيث إن المؤرخين- ابتداء من القرن الثاني عشر علىٰ وجه الخصوص - وصفوا تلك العصور بـ «مجتمع الاضطهاد ، أما في الحضارة الإسلامية فكانوا كبقية الأقليات التي كانت كثيرة ومتعايشة في ظل الإسلام. لقد وجد مارك كوهين أدلة علىٰ اختلاف مكانة اليهود في تاريخ الأدب أيضاً، ففي ذاكرة اليهود المدونة تاريخياً يوجد العديد من شواهد المحن في مسيحية العصور الوسطىٰ. أما في التراث الثقافي الإسلامي، وعلىٰ مدىٰ زمن طويل، فلم يكن الأمر كذلك، مما أدىٰ إلىٰ الإقرار بأن التعايش العربي-اليهودي خلال التاريخ الإسلامي كان يطغىٰ عليه الانسجام الكامل.وأن هذا الانسجام سيستمر مع تطور الأحداث.

إلّا أنه ثمة توهماً معاكساً يقول أصحابه بأن اليهود كانوا ضحايا لاعتداءات مستمرة في المجتمعات العربية. ويدحض كوهين كلا التصورين الواهمين. ويرجع وجود هذين الاعتقادين إلىٰ أن معظم الكتّاب كانوا متأثرين بالماضي في قراءتهم للحاضر الجديد الذي تمثّل بقيام دولة إسرائيل. وفي النهاية يتوصل كوهين إلىٰ نتيجة مفادها أن الاعتداء الإسرائيلي علىٰ العرب المسلمين كان نكراناً لاحتوائهم لليهود طوال عصور خلت. وأنه هو الذي سبب نمو العداء الحديث لليهودية عندهم. لم

يعرف الإسلام هذا «الحب الممزوج بالكراهية» تجاه «أهل الكتاب» ومنهم اليهود، وكانت هناك ضغوطات بسبب فرض الجزية والأوامر الخاصة بالملابس في بعض الأماكن تلك التي يعتبرها الكاتب إهانات، إلّا أن العلاقة كانت مرتبة ترتيباً تدريجياً، حيث لعب اليهود والنصارىٰ دوراً واضحاً في الشريعة الإسلامية فكان دورهم «داخل المجتمع». وكان في المجتمعات الإسلامية كثير من الجماعات العرقية والدينية – مثل العرب والفرس والبربر والأكراد والأتراك واليهود والنصارىٰ والزرادشت – لدرجة أن الحدود بين تلك الجماعات كانت مألوفة جداً. فقد كان المسلمون تجاراً من قديم الزمان، ويقدّرون هذا النوع من العمل. وازدهرت المدن الإسلامية بفضل التجارة، حتىٰ أن اليهود– وكان أغلبهم يسكنون المدن – لم يلفتوا الأنظار إلىٰ أنفسهم. بينما كانت وسط أوروبا في العصور الوسطىٰ ذات طابع زراعي كبير، ولهذا كانوا ينظرون إلىٰ سكان المدن ، وكان بينهم تجار يهود نظرة تحفظية. إن العداء للسامية منتشر اليوم بين المسلمين انتشاراً واسعاً وذلك بسبب الصراع العربي الإسرائيلي. والخلفيات التاريخية قد تمكننا من الإجابة علىٰ الأسئلة الآتية: هل يمكن لمتغيرات سياسية أن تخفف من حدة هذا العداء كالوصول إلىٰ حل سياسي لأزمة الشرق الأوسط، لأن العيش في تسامح ووئام محفور في الذاكرة التاريخية لكلا الشعبين.

أول مقال فاضح

منذ العام 1945 وحتىٰ العام 1960 ظلّت الأكذوبة مفروضة علىٰ أفراد شعوب العالم، ومحاطة بمنع البحث والتحقيق. وبتاريخ 19 آب 1960 نشر أول مقال يشكك بالتحقيقات حول حدوث الإبادة. كان ذلك في صحيفة (دي تزايت) الأسبوعية الألمانية الشهيرة. التي قالت:

«.. إنه لم يحدث أبداً لا في داش ولا في جميع المعتقلات الألمانية الموجودة ضمن حدود الرايخ القديم أي تعريض للغاز القاتل كما قيل» «ولم يحدث تعريض للغاز القاتل إلّا في الأرض البولونية التي كان يحتلها النازيون».

كان ذلك أول مقال فاضح لأضاليل الصهيونية، (وبناءً عليه سقطت حوالي مئة ألف شهادة كاذبة كانت قد قالت بوجود غرف الغاز في تلك المناطق، ونتج عنها وعلىٰ أساسها إعدام عدد كبير من الذين اتهموا بأعمال الإبادة وانتحار آخرين.) (23)

ومنذ ذلك التاريخ بدأت تظهر في أطراف العالم كله شخصيات تمتعت بالجرأة، وبالشعور بالحرية، وراحت تحقق في تلك الأكاذيب. وبالطبع كانوا علىٰ الدوام يتعرضون لمضايقات واعتداءات وملاحقات ومحاكمات، وقد سجن أغلبهم. لكنهم ظلوا صامدين عنيدين يبحثون عن الحقيقة، ومنهم المهندس والباحث الفرنسي هنري روك، والبروفيسور الفرنسي روبير فوريسسون، والسياسي الفرنسي روجيه غارودي، والمؤرخ البريطاني ديفيد هيرفاين الذي علمت بخروجه من السجن أثناء كتابة هذه السطور،ونعوم سومسكي ، وهو يهودي أمريكي وعالم لغويات شهير. وبيير غييوم وهو فرنسي يساري وناشر دولي شهير، وبول راسينيه وهو أديب وكاتب فرنسي ويساري شهير وهو مقاوم قديم ضد النازية وقد كتب العديد من المؤلفات عن المعتقلات النازية التي اعتقل فيها عدة سنوات.ولعلّ أهم حدث عالمي يخص هذه الأبحاث هو انعقاد مؤتمر الأكذوبة في طهران في منتصف كانون الأول 2006 بعزيمة بطولية وثورية من الرئيس الإيراني أحمدي نجاد.

البحث عن الحقيقة

اعتقدت الصهيونية المتطرفة أنها حاكت الأكذوبة بكل الطرق وبأنها أغلقت كل الأبواب التي قد تنفتح عليها، فأمسكت بالإعلام، وأنشأت قوات ضاربة، وألجمت أفواه السياسيين والباحثين ، وفرضت قوانين تمنع البحث وتتهم من تريد باللاسامية. لكن التاريخ نفسه يرفض إلّا أن تظهر الحقيقة. ونذكر فيما يلي أهم الأعمال البحثية والتاريخية ، ونتعرف علىٰ طرق اعتداء الصهيونية علىٰ الباحثين الأحرار.

ويذكر بأن أهم عمل بحثي عالمي حول قضية المحرقة كان مؤتمر طهران الدولي الذي انعقد في أواخر كانون أول 2006 وقد جمع المؤتمر أكبر عدد من الباحثين تم جمعه حتىٰ ذلك التاريخ في مؤتمر واحد.

ولأول مرة ينعقد مؤتمر من هذا النوع وتتبناه دولة عظيمة وذات شأن عالمي، ويرأسه رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية نفسه.

والحقيقة أن مؤتمر طهران كان صفعة كبيرة تواجهها دولة إسرائيل والمنظمات الصهيونية المتطرفة . وقد حضر المؤتمر وللمرة الأولىٰ عدد من حاخامات اليهود المعادين لدولة الكيان الصهيوني ولسياستها والرافضين لأكذوبة المحرقة.

وأعتقد بأن تسويق أكذوبة الإبادة لن يدوم أكثر من عقد من الزمن. بل إن كل الدلائل باتت تشير علىٰ نهاية تلك الأيقونة المزيفة، وتلك الخديعة الكبيرة. وبالنسبة لنا نحن الأفراد نستطيع أن نؤدي دوراً فاعلاً وكبيراً حينما نعلم أبناءنا ونضيف لأصدقائنا تلك الحقيقة. ونزيل حولنا كل اعتقاد بعقيدة الإبادة. وعندئذ نكون قد أدينا خدمة للقضية العربية والإسلامية، ومنعنا تغلغل الفكر الصهيوني داخل مجتمعاتنا.

مدرسة المراجعة التاريخية

نشطت مدرسة المراجعة التاريخية في الولايات المتحدة منذ عام 1928 وقد أسسها الأستاذ (هاري المر بارنر) وانصبّ اهتمامها آنذاك علىٰ كتابة التاريخ الحقيقي للحرب العالمية الأولىٰ، وأنتجت عدة مئات من الأبحاث الهامة، والخطيرة.فتطورت المدرسة وأسست معهد المراجعة التاريخية في كاليفورنيا ومجلة ودار نشر، كما أصبح لها فروع في لندن وميلبورن ولوس أنجلوس وغيرها.وبعد الحرب العالمية الثانية اهتمت بمسألة اليهود وأسطورة المحرقة.وانضم اليها روبير فوريسون وأصبح ممثلها في فرنسا، وأصبحت تضم كبار المؤرخين العالميين أمثال: أرثر بوتز من أميريكا و سيرج تيبون و بيير غييوم وهنري روك من فرنسا و زونديل من كندا.

وفي فرنسا نشرت المدرسة نتائج دراساتها حول الهولوكوست وجاء فيها:

«غرف الغاز لم تكن موجودة أبداً، وإنه لا يمكن من الناحية العلمية والتاريخية والواقعية أن تكون قد وجدت. وإنما هي جزء من أسطورة الوهم اليهودي».

وقد زار فوريسسون كل الأماكن التي قيل أنها محارق وغرف غاز وتفحصها وأجرىٰ عليها دراسات كاملة وأثبت بالوثائق استحالة حدوث الهولوكوست. وقد ساهم في ذلك البحث التاريخي كل من بيير غييوم و سيرج تيبون و بول راسينيه وبوتز و زونديل و ستاغليش وغيرهم ونشر البحث بعنوان: (**حقيقة تاريخية أم حقيقة سياسية**). وبعد صدوره هاجمته العديد من الصحف الفرنسية وأثيرت ضد الباحثين قضايا وتهم عديدة فتمّت محاكمة فوريسسون وفصله من عمله كأستاذ لمادة الأدب المقارن في جامعة ليون وأرغم علىٰ دفع غرامات مالية كبيرة. كما اعتدي عليه بالضرب عدة مرات،ونجا من محاولة لاغتياله بتاريخ 16 أيلول 1989 ، وقال المحامي سيرج كلاريسفيلد معلقاً علىٰ ذلك الاعتداء: (إن من استفز الجالية اليهودية طوال سنوات عديدة يتوجب عليه أن يتوقع الشيء نفسه الذي حصل له.)

الخطاب الحضاري الغربي

يستمر إنكار الإبادة والكشف عن الحقيقة في الغرب ويزداد يوماً بعد يوم وفي 29 كانون الثاني 2007 نشرت صحيفة هاآريتس الصهيونية مقالاً بعنوان (تزايد معدلات اللاسامية في أوروبا) جاء فيه أن نسبة العداء لليهود قد ازدادت في أوروبا في العام 2006 بنسبة 10 ٪ عن الأعوام السابقة وأن هذا الرقم خطير للغاية حسب المفهوم الصهيوني، وأن أشكال العدائية التي ظهرت تتمثل بالدرجة الأولىٰ في استنكار المحرقة والإبادة ثم في الموقف العام من الحروب الإسرائيلية في الشرق الأوسط. ومما لاشك فيه أن نسبة العداء للصهيونية ومشاريعها ستظل في ازدياد مستمر وأن الأكاذيب الصهيونية ستنكشف كاملة وتتعرىٰ إسرائيل تماماً في مواقف أبناء الغرب وسياسييه وحكّامه وعندئذ ستكون نهاية إسرائيل ولن يطول ذلك حسب تصورنا أكثر من عقد واحد من الزمن.

فمن خلال احتكاكنا مع أبناء المجتمع الغربي نلاحظ استنكارهم لمواقف حكوماتهم الغبية الخاضعة باستمرار لما تمليه عليهم الصهيونية. وهذا الاستنكار

سيترجم إلىٰ نتائج انتخابات وضغوط علىٰ الحكام المستقبليين في الغرب.

إنّ إنكار الإبادة مصطلح يتواتر في الصحف الغربية وفي بعض الأدبيات الخاصة بالإبادة النازية لليهود، وهو يشير إلىٰ أي كتاب أو مؤلف تجرَّأ صاحبه وكتب دراسة تطعن فيما ذهب إليه الكثيرون من أن عدد ضحايا النازية من اليهود ستة ملايين، أو تثير الشكوك بخصوص أفران الغاز وغاز زيكلون ب. وقد صدرت حتىٰ الآن الكثير من الدراسات التي تنكر حدوث الإبادة أو تشكك في الأرقام والأحداث المزعومة ونذكر هنا بعضاً منها.

بول راسينيه عاصر الأحداث

كتب بول راسينيه Paul Rassinier في الخمسينيات من القرن الماضي دراسة ضخمة بعنوان **أسطورة غرف الغاز**. وكان المؤلف قد عاصر الأحداث واعتقل علىٰ يد النازيين رُحّل إلىٰ أحد معسكرات الاعتقال وجاءت دراسته تحمل شهاداته القيّمة. وفند في كتابه وجود مثل هذه الغرف أساساً وبيَّن أنها أكذوبة تاريخية وأورد إحصاءات ديموجرافية رسمية ومكثّفة ودقيقة عن عدد اليهود في كل أوربا قبل الحرب وبعدها، وعقب صدور كتابه حُوكم راسينيه وناشر الكتاب وعُوقب بالسجن مع إيقاف التنفيذ كما فُرضت عليه غرامة مالية فادحة اضطر لدفعها.

أكذوبة القرن العشرين

من أهم الكتب التي تستنكر الإبادة كتاب البروفسور آرثر باتس Arthur Butz الأستاذ بجامعة نورث ويسترن وقد ترجم كتابه إلىٰ اللغة العربية وظلّ انتشاره وتوزيعه محدوداً، وعنوانه **أكذوبة القرن العشرين** الذي يثير الشكوك حول عملية الإبادة نفسها. ولا يزال البروفسور باتس يُدرِّس في الجامعة في الولايات المتحدة.

دراسات فوريسسون

أصدر روبير فوريسسون أستاذ الأدب في جامعة ليون سلسلة مقالات ثم كتاباً كبيراً كتب مقدمته عالم اللسانيات الأمريكي الشهير نعوم تشومسكي يثبت أنه لم تكن هناك أصلاً أفران غاز وكان عنوان الكتاب الأكذوبة، وقد اعتمدنا علىٰ بعض شهاداته في تحضير هذه الدراسة. ويذكر بأن فوريسسون قد حضر مؤتمر استنكار الإبادة في طهران عام 2006 ، وأن ناعوم شومسكي كاتب أميريكي يهودي يعادي الأيديولوجية الصهيونية وكافة أعمال الإبادة التي تمارسها إسرائيل ضد العرب والفلسطينيين. وأنه من ناحية أخرىٰ يعتبر أهم عالم لسانيات في العالم وأحد مبدعي نظريات اللسانيات التي تدرّس الآن في جامعات العالم.

تناقضات آوشفيتز

وأصدر ، أحد قضاة مدينة هامبورج وهو الباحث ستاجليش Staglish كتاباً بعنوان أسطورة آوشفيتز. والكتاب هو رسالة دكتوراه كان القاضي قد قدمها إلىٰ جامعة جوتينجن، وتوصّل فيها إلىٰ أن كثيراً من النصوص وشهادات الشهود بخصوص معسكر آوشفيتز أو عما كان يجري فيه غير صحيحة علىٰ الإطلاق ومليئة بالتناقضات. وحاز فيها علىٰ درجة الدكتوراه. وما إن صدر الكتاب حتىٰ قررت الجامعة سحب الدكتوراه من الرجل ومعاقبته. كما أصدرت السلطات القضائية قراراً بخصم 10٪ من راتبه.

قضية ديفيد ايرفاين

اعتقل المؤرخ والباحث البريطاني ديفيد هايرفاين في النمسا وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ،وذلك بسبب أبحاثه التاريخية التي تنكر حدوث المحرقة . وقد سجن منذ شباط 2006 وحتىٰ أواخر كانون الأول من السنة نفسها حيث أفرج

عنه القاضي بعد قضائه ثلث مدة الحكم، وطلب منه أن يغادر النمسا وأن لا يدخلها مرة أخرىٰ، وأن يتعهد بعدم نكران المحرقة.

وكان ديفيد إيرفين David Irving يتعرض للمطاردة منذ نهاية الثمانينيات من القرن الماضي لأنه ينكر الإبادة رغم أن مجلة (ذا نيويورك ريفيو أوف بوكس The New York Review of Books) وصفته بأنه «يعرف عن الاشتراكية الوطنية (أي النازية) أكثر من أي عالم آخر متخصص في هذا الحقل، وأشارت إلىٰ كتابه عن حرب هتلر بأنه أحسن دراسة عن الجانب الألماني في الحرب». ورغم كل هذا طُرد من كندا وبعد ذلك من أستراليا، ومُنع من إلقاء محاضراته فيهما. وأصدرت إحدىٰ المحاكم الألمانية حكماً بتغريمه عشرة آلاف مارك لمجرد أنه نفىٰ أن اليهود كانوا يموتون في غرف الغاز في معسكر آوشفيتز (45)

قضية روجيه غارودي

في مطلع العام 1983 نشر السياسي البارز والمؤرخ الفرنسي الشهير روجيه غارودي مقالاً في صحيفة لوموند الفرنسية استنكر فيه الغزو الإسرائيلي للبنان وقام بتشبيه ذلك الغزو بأعمال الارهاب الصهيوني في فلسطين في الأعوام 1948 و 1956 ، ودعا الفرنسيين إلىٰ اتخاذ موقف واعٍ ضد الممارسات الصهيونية، كما وانتقد اللوبي الصهيوني العالمي وأعماله الإرهابية وسيطرته علىٰ المال والإعلام والقرار في الدول القوية.

فقامت قيامة الصحافة ضد غارودي الذي أعلن إسلامه وضد مدير صحيفة لوموند التي نشرت تقريره، ففقد مديرها السيد جاك فوفيه وظيفته، وبدأت الدعاوىٰ تحاك ضد غارودي.وفي أواخر العام 1996 قامت عصابات صهيونية متطرفة بالاعتداء علىٰ مكتب الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي، وبإلقاء المتفجرات عليه، فتم تدمير المكتب وتحطمت كل محتوياته. ولحسن حظه لم يكن غارودي موجوداً في مكتبه آنذاك. وبعدما نشر كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية) رفعت

شكاوىٰ صهيونية ضد غارودي وتم الحكم عليه ظلماً، و هوجم وتعرض للـضرب في قصر العدل في باريس، كما هوجم محاموه ومؤيدوه.

قضية الدكتور ستاغليش

الدكتور ستاغليش يحمل دكتوراه دولة في الحقوق من جامعة غويتينغين الألمانية منذ العام 1951 . وفي الثمانينيات من القرن الماضي صدر كتابه بعنوان (أسطورة آوشفيتز : خرافة أم حقيقة ؟).

وبفضل انتقادات المنظمات الصهيونية الألمانية له حوكم الباحث وصودرت كافة نسخ كتابه وأتلفت وصدر قرار من جامعة غويتينغين بسحب شهادته وبحرمانه من التعليم وبطرده من عمله.

قضية هنري روك

هنري روك مهندس وباحث فرنسي، تقدم بأطروحة في جامعة نانت عنوانها: (دحض الأكذوبة الصهيونية الزاعمة إبادة اليهود في أفران الغاز)

وتقع الأطروحة في 371 صفحة. ونوقشت رسالته ونال عليها درجة الدكتوراه بتاريخ 15حزيران / 1985 . وبعد ذلك بأيام انشغلت المؤسسات الصهيونية الفرنسية بالتآمر عليه فانطلقت القضية إلىٰ باريس، وأطلقتها هناك أهم صحفها المقرّبة من الصهاينة علىٰ أقل تقدير، ومن الحزب الاشتراكي الفرنسي المعروف بموالاته للمؤسسات الصهيونية. (لو نوفيل أوبسرفاتور، لو ماتان، ليبيراسيون). ووجهت انتقادات حادة للحزب الديغولي ، واتهم بالتهاون مع من أطلق عليهم اسم (والنازيون الجدد). وفي أواخر حزيران 1986 صدر عن وزير البحث والتعليم العالي الفرنسي السيد ألان فاكيه قرار بإلغاء شهادة الدكتوراه وبإيقاف الأستاذ الذي أشرف عليها عن العمل، وهو جان كلود ريفيير. كما وصدرت قرارات بإيقاف الأساتذة المناقشين للأطروحة عن العمل وهم: (تيري بورون ، بيير زيند ، جاك فياران).وفي 30 تموز 1986 دعا روك الصحفيين

لمؤتمر أراد شرح آرائه فيه ، فسبقه اليه أعضاء جماعة SOS Rasisme وهي منظمة صهيونية اشتراكية تحوي إلىٰ جانب اليهود أعضاء من العرب وخاصة جالية المغرب العربي.(27)

قضية برنار أنتوني

كان برنار أنتوني نائباً فرنسياً في البرلمان الأوروبي، وبتاريخ 19 تشرين الأول 1985 تحدث إلىٰ صحيفة لوموند الفرنسية وقال:

– ألا نستطيع أن نناقش ونتكلم عن المسألة اليهودية كما نناقش ونتكلم عن مسألة الباسك مثلاً؟؟ إننا نلاحظ أو ننقل بعض الملاحظات ذات الطابع الاجتماعي: إن هناك قوة في فرنسا لا تقبل ولا تريد الاندماج في مجتمعنا.. وبالنسبة إليها فإن المصالح اليهودية تأتي أولاً وقبل المصالح الفرنسية.

وبتاريخ 4 حزيران 1986 رفعت ضده الدعاوىٰ بتهم عنصرية وتحريضية ودعي للمحاكمة والمساءلة عدة مرات، ثم وبتاريخ 4 حزيران 1986 حوكم النائب الفرنسي للمرة الرابعة بتهمة التحريض علىٰ إثارة النعرة العنصرية وبتهمة العداء للسامية.

صحيفة نيو ستيم

في حزيران 1985 نشرت صحيفة نيو ستيم New Stimme التي تصدر في منطقة الألزاس اللورين في فرنسا مقالاً ينتقد استخدام اليهود لأكذوبة غرف الغاز في دعاياتهم الصهيونية. وكالعادة حبكت المنظمات الصهيونية التهم والأزمات لتلك الصحيفة، وفي شهر أيار 1986 صدر حكم عليها بدفع غرامة قدرها عشرة آلاف فرنك فرنسي بتهمة التحريض ضد اليهود وإثارة النعرة العنصرية في المجتمع الفرنسي.

obeikandi.com

العصا الصهيونية المهاجمة

رابطة الدفاع اليهودية

في العام 1968 أسس الحاخام كاهانا مع بعض زملائه اليهود في الولايات المتحدة (رابطة الدفاع اليهودية) التي استخدمت شعارات مثيرة مثل:

«لن تعاد المحرقة أبداً» وشعار «لكل يهودي بندقيته المسلّطة»

وقامت الرابطة بجمع الأسلحة واجتذاب اليهود اليها، وارتكبت العديد من أعمال الاعتداء ضد من اتهمتهم باللاسامية وأولئك أعضاء مدرسة المراجعة التاريخية. وفي آب 1985 قامت الرابطة بإلقاء قنبلة علىٰ مكتب للمراجعة التاريخية فقتلت شخصاً وأصابت آخر بجراح، وهما السيد تشاريم سوبزوكوف والسيد مارسيز بروجرز.

اعتداءات على روبير فوريسسون

بتاريخ 16 أيلول 1989 حاول المتطرفون قتل روبير فوريسسون ، فقد هاجموه علىٰ مقربة من منزله وسلّطوا عليه الغاز، وأوسعوه ضرباً ولكماً، فكسر فكه وجرح ونزف رأسه ووجهه. وتبنت الهجوم مجموعة أطلقت علىٰ نفسها اسم: (أبناء الذاكرة اليهودية)، وفي اليوم التالي احتجّت الصحف الفرنسية علىٰ ذلك الاعتداء وأهمها لوموند في عدد 19 أيلول 1989.

وبتاريخ 17 آذار 1992 هوجم فوريسسون في أستوكهولم من قبل مجموعة يهودية نشطة ينتمي بعض أعضائها لمنظمة بيتار، فأصيب أحد مرافقيه وهو سويدي بجروح خطيرة.

وبتاريخ 21و22 آذار 1991 اعتدىٰ أعضاء من بيتار علىٰ روبير فوريسسون

ومرافقه الإنكليزي في قصر العدل في باريس أثناء محاكمة فوريسسون. ولم تتدخل الشرطة في الاعتداء. وصرخ أحد عناصر بيتار قائلاً: «سوف نقتل فوريسسون مهما كلف الأمر..»

هجوم على مؤتمر في أستوكهولم

بتاريخ 22 أيار 1992 هوجم مؤتمر حركة إعادة النظر في أستوكهولم،من قبل أعضاء من منظمة بيتار كانوا مسلحين بقضبان حديدية، وعازمين علىٰ اغتيال روبير فوريسسون. وقد جرحوا شرطيين من الحراس، وتبين بعد التحقيق بأن ثلاثين من بيتار قدموا علىٰ متن طائرة من باريس إلىٰ أستوكهولم لمنع انعقاد المؤتمر.

تدمير المكتبات

قامت الصهيونية المتطرفة عشرات المرات بالهجوم علىٰ مكتبات ودور نشر تهتم بكتب تنتقد الأسطورة، ففي 25 تشرين الثاني 1981 شنّ حوالي 15 إرهابياً هجوماً علىٰ مكتبة الدراسات والتوثيق الدولية الواقعة في شارع ديكارت في باريس. ودمروا وأتلفوا محتوياتها.

وفي ربيع 1991 هوجمت مكتبة العجوز المتمردة La Vieille Taupe وأتلفت الكتب والمحتويات فيها، وتقع المكتبة في شارع سانت جاك في باريس، ويديرها الباحث بيير غييوم، وتحدثت صحيفة 7 الباريسية بتاريخ 1 أيار 1991 عن تراجع نشاطات المكتبة وتقهقرها بعد ذلك الهجوم.

أعمال الهجوم تستمر في بلدان الديمقراطية

- هوجم السيد جورج أشيلي أستاذ التاريخ في التعليم العالي عدة مرات وأحرق منزله ونهب في آخر هجوم.
- هوجمت سيارة الدكتور تشارلز ويبر المحرر في مجلة المراجعة في نيسان 1985

- اعتدي علىٰ الدكتور رينهارت بوشيز وضرب عدة مرات في كندا واعتـدي عـلىٰ الناشر أرنيست زونديل في كانون الثاني 1983
- بتاريخ 22 نيسان هوجم عدد من الأشخاص كانوا يحتجون علىٰ إقامة معـرض المحرقة في واشنطن
- وفي 5 تشرين ثاني 1980 أحرقت مكاتـب ومطبعـة سوسكس Sussex التـي نشرت كتاباً بعنوان (**هل أحرق ستة ملايين يهودي ؟**) لمؤلفه ريتشارد هورود
- بتاريخ 10 شباط 1988 أحرقت سيارة المؤرخ الألماني أرنيـست نولـت ، وهـو أستاذ في جامعة برلين.

يهود ضد الصهيونية

إن عدداً من الجماعات اليهودية المتدينة الموجودة في إسرائيـل والـدول الأخـرىٰ تعلن باستمرار عن عدائها لدولة إسرائيل وتتهمهـا بأنهـا دولـة لا شرعيـة ومغتـصبة لأرض الشعب الفلسطيني، وتتهم هذه الجماعات اليهودية المنظمات الـصهيونية بأنهـا ابتدعت أساطير المحرقة لإقامة كيان صهيوني وكـسبت الأمـوال الطائلـة مـن الـدول الغنية وأسكتت بواسطة تلك الأموال العديد من الأحزاب اليهوديـة التـي عارضـت الحركات الصهيونية بادئ الأمر.

وإن أفراد هذه الجماعة اليهودية المعارضة يرفضون الخدمة في الجـيش الإسرائـيلي لأنهم يرونـه جيـشاً عنـصرياً وإرهابيـاً، وهـم لا يقبـضون مـن الأمـوال الحكوميـة، ويصدرون علىٰ الدوام بيانات معادية وكاشفة لأكاذيب وأضاليل الصهيونية.

ومن بين هؤلاء المتدينين المعارضين جماعة ناتوري كارتـا الـدولي Neturei Karta International وجاء في بيانهم الصادر بتاريخ 29 / 4 / 2001: منذ نشوء الـصهيونية خرجت ضدهم الجمـوع اليهوديـة بقيـادة الحاخامـات بحـرب ضروس...الـصهاينة تحرشوا بالأمم ، وطلبوا سلطة سياسـية عـلىٰ الأرض المقدسـة... اسـتطاع الـصهاينة

obeikandi.com

التأثير علىٰ حكومة بريطانيا بالإعلان عن وعد بلفور(22).

ويذكر بأن الصهيونية المتطرفة ارتكبت في العام 1948 وما بعده جرائم قتل جماعي ليهود غير متطرفين ولا يمارسون العنصرية. ففي العام 1948 وكما هو معلوم تاريخياً وكما يعترف الصهاينة أنفسهم قامت الصهيونية المتطرفة بتدمير سفينتين عند الشواطئ الفلسطينية. كانتا تحملان يهوداً مهجّرين من بريطانيا وألمانيا. وبلغ عدد القتلىٰ اليهود فيهما 2500 يهودي. ثم قامت الحركات الصهيونية المتطرفة بأعمال قتل جماعي ليهود العراق.

جماعة شتيرن والنازية

جماعة شتيرن صهيونية مراجعة حاولت التعاون مع النازيين باعتبار أن ثمة فارقاً عميقاً بين ما سمته الجماعة «مضطهدي الشعب اليهودي» وأعدائه. فمضطهدو الشعب اليهوي أمثال هامان وهتلر موجودون في كل زمان (فالصهاينة يؤمنون بحتمية العداء لليهود واليهودية). ولكن الأمر جدُّ مختلف بالنسبة لأعداء اليهود، فهؤلاء هم الأجانب الذين يهيمنون علىٰ فلسطين ويمنعون اليهود من العودة إليها لينهوا حالة المنفىٰ ويؤسسوا وطنهم القومي فيها وبناءً علىٰ هذه الأطروحة الصهيونية الراديكالية لم يجد أعضاء شتيرن أية غضاضة في التفاوض مع النظم الشمولية بهدف التعاون الوثيق معها. فعقدوا اتفاقاً مع حكومة موسوليني تعترف بمقتضاه الحكومة الفاشية بالدولة الصهيونية علىٰ أن يقوم أعضاء شتيرن بالتنسيق مع القوات الإيطالية حين تقوم بغزو فلسطين.

ولكن التعاون مع النازيين كان هو الهدف الحقيقي. ولتحقيق هذا الغرض أرسل أعضاء شتيرن مندوباً إلىٰ بيروت (التي كانت تحت سيطرة حكومة فيشي الموالية للنازيين) للتفاوض مع قوات المحور وقد قابل هذا المندوب، في يناير 1941، مواطنين ألمانيين أحدهما هو أوتو فون هنتج، رئيس القسم الشرقي في وزارة الخارجية

الألمانية، والذي كان يشعر بالإعجاب العميق بالصهيونية.

وبعد الحرب اكتُشفت وثيقة (في أرشيف السفارة الألمانية في أنقرة) أرسلتها جماعة شتيرن للحكومة الألمانية تتصل بإيجاد حل للمسألة اليهودية في أوربا واشتراك أعضاء جماعة شتيرن إلىٰ جانب القوات النازية في الحرب ضد قوات الحلفاء. وتنص الوثيقة علىٰ أن إجلاء الجماهير اليهودية من أوربا هو شرط مسبق لحل المسألة اليهودية. وقد عبَّر كاتب الوثيقة عن وجود نقط تماثل بين النازية والصهيونية. (وصفت شتيرن نفسها بأنها حركة تشبه الحركات الشمولية في أوربا في أيديولوجيتها وبنيتها). كما تذكر الوثيقة وجود مصالح مشتركة بين النازيين والصهيونية، وتُعبِّر عن تقدير جماعة شتيرن للرايخ الثالث لتشجيعه النشاط الصهيوني داخل ألمانيا وللهجرة الصهيونية إلىٰ فلسطين. وتؤكد الوثيقة ضرورة التعاون بين ألمانيا الجديدة والفولك العبري في المجال السياسي والعسكري. ولم يتلق الجانب الصهيوني رداً، ولذا أرسلت جماعة شتيرن مندوباً آخر في ديسمبر من العام نفسه إلىٰ تركيا (بعد احتلال البريطانيين للبنان) ولكن قُبض علىٰ هذا العميل. وكان إسحق شامير، رئيس وزراء إسرائيل السابق، عضواً في جماعة شتيرن وكان حليفاً قوياً للنازية. ويؤكد الباحث الإسرائيلي باروخ نادل أن شامير كان يعرف بخطة شتيرن للتعاون مع النازيين. وحينما عُيِّن وزيراً للخارجية ثار الرأي العام العالمي بسبب تعيين إرهابي مثله (قام بتدبير عملية اغتيال اللورد موين في القاهرة عام 1942 والكونت فولك برنادوت عام(1948 ، ولكن أحداً لم يتطرق إلىٰ ماضيه النازي.

عصبة الأشداء

عصبة الأشداء جماعة صهيونية مراجعة أسسها آبا أحيمئير (1898 ـ 1962) ومجموعة من المثقفين الصهاينة مثل الشاعر أوري غرينبرغ. وكان معظم مؤسسي الجمعية أعضاء في منظمات صهيونية عمالية ثم استقالوا منها. وقد تبنت الجماعة صياغة صهيونية لا تخفي إعجابها بالفكر النازي أو العنصرية النازية. وقال أحد كبار الصهاينة التصحيحيين:

- نحن التصحيحيون نكنّ الإعجاب الشديد لهتلر، فهو الذي أنقذ ألمانيا ولولاه لهلكت خلال أربعة أعوام، وسنتبعه إن هو تخلىٰ عن معاداته لليهود.

وكانت مجلة عصبة الأشداء في فلسطين تزخر بالمقالات التي تمجد هتلر والهتلرية. وكان من بين هتافات أعضاء العصبة « ألمانيا لهتلر، وإيطاليا لموسوليني، وفلسطين لجابوتنسكي». كما مجَّد أعضاء الجمعية الجوانب العسكرية في تاريخ العبرانيين، فكانوا يشبهون أنفسهم بجماعة حملة الخناجر،

وكان أتباع الجمعية يرون أن الاغتيال السياسي ليس جريمة وإنما هو فعل ذو هدف ومعنىٰ، وأن الدم والحديد هما الطريق الوحيد للتحرر. وكما قال أحميئير، فإن **الماشيَّح لن يأتي راكباً علىٰ حمار .**

وكان يقصد أن الماشيَّح الصهيوني سيأتي راكباً دبابة، حاملاً القنابل العنقودية! وتعود أهمية الجمعية إلىٰ تأثيرها في حركة التصحيحيين ككل، فقد تحولت مجلتهم (التي صدرت ابتداءً من يناير 1932) إلىٰ لسان حال العمال التصحيحيين، وشنت حملات شعواء علىٰ المعسكر العمالي بأسره.

الفريد نوسيج

هو أحد مؤسسي الحركة الصهيونية مع هرتزل، وأهم شخصية يهودية صهيونية كانت تتعاون مع النازيين، وهو فنان وشاعر وموسيقار من أصل بولندي وله خلفية ثقافية ألمانية، كانت مواهبه متعددة ومتنوعة عبَّر عنها من خلال الأدب والموسيقىٰ وقد بدأ حياته، شأنه شأن معظم الزعماء الصهاينة، خصوصاً الذين كانوا من أصل ثقافي ألماني، بالمطالبة بالاندماج الكامل لليهود، ثم أصبح محرراً في إحدىٰ الصحف البولندية. وفي عام 1887، نشر كتيبه **محاولة لحل المسألة اليهودية**. حيث اقترح إنشاء دولة يهودية في فلسطين والدول المجاورة. وقد ترك هذا الكتيب أثراً عميقاً علىٰ المثقفين اليهود في أوربا وخصوصاً في جاليسيا. ومنذ ذلك التاريخ، أصبح نوسيج نشيطاً في المجال

الصهيوني فألّف الكتب ودبج المقالات عن موضوع الاستيطان وغيره وشارك نوسيج في المؤتمر الصهيوني الأول (1897)، واصطدم مع هرتزل. وصوّت ضد مشروع شرق أفريقيا. وساهم (عام 1902) مع مارتن بوبر وحاييم وايزمان وليو موتسكين في تأسيس أول دار نشر صهيونية في برلين نشرت العديد من الكتب. ويُعتبَر نوسيج واضع أساس علم الإحصاء الخاص بين الجماعات اليهودية، فنشر أعمالاً بين عامي 1887 و1903 ووضع أساس إنشاء المعهد الإحصائي والسكاني (الديموجرافي اليهودي).

الفضاء الإسرائيلي:

وكان هدف الصهيونية (حسب تعريف معظم مؤسسيها) هو نقل اليهود من أوربا وإفراغها منهم لحل المسألة اليهودية، والصهيوني **نوسيج** ينتمي إلىٰ هذه المنظومة الفكرية التوطينية فكان معظم فكره يدور حول تهجير اليهود، وكان هذا يأخذ شكل محاولة زيادة وعيهم بهويتهم اليهودية العضوية حتىٰ يضمُر ويذوي إحساسهم بالانتماء إلىٰ أوربا فعمل كمخبر للسلطات النازية إبان الحرب العالمية الثانية، لكن في العقود الأخيرة وبعدما استخدمت الصهيونية كافة قوىٰ اليهود المقيمين خارج إسرائيل وحققت فوائد كبيرة منهم لا يمكنها أن تحققه لو أنهم أقاموا في إسرائيل نفسها، وبسبب ذلك توصّلت الصهيونية إلىٰ نتيجة منهجية وهي إبقاء أولئك اليهود خارج إسرائيل، والمحافظة علىٰ الاستفادة من نتاجهم وجهودهم. ولتكن بذلك تلك الأوطان هي إسرائيل الثانية. وفي الفلسفة الصهيونية عبّرت الأدبيات اليهودية عن هذه الرؤية بوضوح. واعتبرت أنّ الفضاء الكوني كله مناخ لأحقّية إقامة الصهيونية فيه، واعتبرت بأن الرب لا يقيم فحسب مع شعبه في صهيون بل يقيم في الكون كله حيث يوجد اليهودي. فوجود اليهودي هو دليل علىٰ وجود الرب في أي مكان مفترض؛ لأن الرب يكمن في شعبه ويحل في كل يهودي. ومن هنا تعتبر أية بقعة في العالم مباحة لإقامة اليهودي، بل هي مكانه المقّدس.

مردخاي رومكوفسكي

صهيوني بولندي ورئيس المجلس اليهودي في جيتو لودز خلال الحرب العالمية الثانية. وُلد في روسيا ثم استقر في مدينة لودز مع بداية القرن العشرين.. كان رومكوفسكي مؤمناً بأن التعاون مع الألمان سيُعزِّز وضع اليهود، خصوصاً إذا زادت مساهمتهم وأهميتهم بالنسبة للمجهود الحربي الألماني. ولهذا عُيِّن، بعد احتلال الألمان لمدينة لودز عام 1939، رئيساً للمجلس اليهودي فيها، ومنحه المسؤولون الألمان في جيتو لودز (الذي ضم 170 ألف يهودي) سلطات إدارية واسعة. وتَعزَّز موضعه القيادي بسبب مهارته التنظيمية، فكان مسؤولاً عن إقامة الورش التي أمر الألمان بإنشائها لاستغلال عمل اليهود، والتي بلغ عددها 120 ورشة. ويشير تسلسل تعامله مع الألمان إلىٰ عدم وجود مشاريع إبادة نازية آنذاك، ونشير إلىٰ أن هذا السرد التاريخي لحياته ولمسيرة أعمال اليهود الآخرين مثبّت في المراجع الصهيونية العالمية أي تعترف به الصهيونية.

ومع مرور الوقت، عمل رومكوفسكي علىٰ تركيز جميع السلطات في يده وأصبحت إدارته أكثر استبداداً. وعندما أمرت السلطات الألمانية الجيتو بإصدار عملة نقدية خاصة به (باعتباره كياناً يهودياً مستقلاً بدلاً من استخدام العملة البولندية أو الألمانية)، طُبعت علىٰ الأوراق المالية الجديدة صورته. اشترك رومكوفسكي في عمليات ترحيل ونقل يهود لودز إلىٰ معسكرات الاعتقال الألمانية، و ظل مؤمناً بأن التعاون مع الألمان هو أفضل سبيل لتخفيف وطأة هذه المأساة.

وحياته وموقفه من الألمان وخاصة مشاركته في أعمال الترحيل هذه يدل علىٰ عدم وجود أعمال إبادة نازية علىٰ الإطلاق، بل إن ترحيل اليهود كان يتم إلىٰ معسكرات ومدن إقامة لتجميعهم وتهجيرهم إلىٰ فلسطين.لقد أدّت النازية خدمة كبيرة للصهيونية. ورغم ذلك انتقم الصهاينة منها واتهموها بالإبادة وعاقبوا الشعب الألماني.

آدم تشرنياكوف

صهيوني بولندي ورئيس مجلس الجماعة اليهودية في وارسو خلال الحرب العالمية الثانية وأول رئيس للمجلس اليهودي في وارسو، والذي شكلته سلطات الاحتلال النازية.

كان تشرنياكوف من النشطين في مجال شؤون الجماعة اليهودية في بولندا عقب الحرب العالمية الأولىٰ، ثم عيّنه عمدة وارسو بعد اندلاع الحرب رئيساً لمجلس الجماعة اليهودية. وبعد احتلال القوات الألمانية للمدينة، عينته السلطات النازية رئيساً للمجلس اليهودي، وأوكلت إليه مهمة تنظيم الجماعة اليهودية في جيتو خاص بها، وكان علىٰ اتصال وثيق بالسلطات النازية،

حاييم كابلان

معلم مدرسي بولندي صهيوني دوّن يومياته في جيتو وارسو أثناء الاحتلال النازي لبولندا وكان كابلان من المؤمنين بالقومية اليهودية، أي الصهيونية، والتاريخ اليهودي الواحد، وتعود أهمية كابلان إلىٰ أنه دوّن يومياته وهو في جيتو وارسو أثناء الاحتلال النازي لبولندا وتتضمن اليوميات إدراكاً كاملاً للتشابه البنيوي بين النازية والصهيونية، إذ يُعبّر كابلان عن دهشته لاضطهاد النازيين لليهود رغم أن الحل النازي هو الحل الصهيوني نفسه:

الاعتراف باليهود كشعب عضوي منبوذ وطنه فلسطين ومن ثم يتعيَّن عليه أن يهاجر إليها.

كورت بلومنفلد

أحد الزعماء الصهاينة في ألمانيا، والقوة المحركة للمنظمة الصهيونية فيها. وهو يهودي ألماني وُلد لأسرة مندمجة، وأصبح رئيساً للمنظمة الصهيونية الألمانية عام

1924، وظل يشغل هذا المنصب حتىٰ عام 1933، أي عندما تـولىٰ هتلـر الـسلطة في ألمانيا. وهاجر إلىٰ فلسطين واستوطن فيها وأصبح الرئيس التنفيذي للصندوق القومي اليهودي في فلسطين وكان بلومنفلد وراء إصدار ما يُسمَّىٰ «قرار بوزن» الذي أصدرته المنظمة الصهيونية الألمانية عام 1912 وحدَّدت فيه الصهيونية كحركة قوميـة تُـترجم نفسها إلىٰ هجرة إلىٰ فلسطين الوطن القومي لليهود.

رودولـف كاسـتنر

أحد زعماء الحركة الصهيونية في المجر. ترأس عدداً من المنظمات الشبابية الصهيونية. وإن مسيرة حياته وعلاقته القوية بالنازية تكشف عن فضيحة للصهيونية، وتظهر أسراراً كبيرة عـن علاقـة الـصهاينة بالنازيـة وعـن وجـود لعبـة خفيـة كـان ضـحيتها الألمـان النازيون. **تعاون مع النازيين قبل وبعد احـتلالهم للمجـر** ولكـن في عـام 1952 أرسـل المواطن الإسرائيلي مايكل جرينوولد كتيباً لـبعض القيــادات الـصهـيونية اتهـم فيهـا كاستنر بالتعاون مع النازيين، وأنه قام بالدفاع عن أحد ضباط الحرس الخامس (الإس. إس.) أثناء محاكمات نورمبرج الأمر الـذي أدَّىٰ إلىٰ تبرئتـه وإطـلاق سراحـه. وقـد قـام الحزب الحاكم في إسرائيل بمحاولات مضنية لإنقاذ كاستنر وتبرئتـه. كـما بـيَّن كاسـتنر أثناء محاكمته أنه لم يكن يسلك سلوكاً فردياً وإنما تَصرَّف بناءً علىٰ تفـويض مـن الوكالـة اليهودية (التي أصبحت الدولة الصهيونية عام 1948). ولم يكن كاستنر مبالغاً في قولـه فالمواطن الإسرائيلي جويل براند كان علىٰ علـم بـبعض خفايـا القـضية وبمـدىٰ تـورط النخبة الحاكمة في لعبة شيطانية صهيونية. وقد طُلب منه الإدلاء بشهادته، ولكنه آثر ألا يفعل وبدلاً من ذلك كتب كتاباً بعنوان **الشيطان والروح** يقول فيه:

« إن لديه حقائق تبعث علىٰ الرعب وتدمغ رؤوس الدولـة اليهوديـة الـذين كـانوا رؤساء الوكالة اليهودية ».

وأضاف قائلاً :

obeikandi.com

« **إنه لو نشر مثل هذه الحقائق لسالت الدماء في تل أبيب** ».

وقد قضت المحكمة الإسرائيلية بأن معظم ما جاء في كتيب جرينوولد يتطابق مع الواقع. وبعد إشكالات قضائية كثيرة، حُسمت المسألة (لحسن حظ الحزب الحاكم) حينما أطلق مجهول الرصاص علىٰ كاستنر وهو يسير في الشارع وقتله وأنهىٰ الفضيحة الكبيرة.. وقد سجل موشيه شاريت، رئيس الوزراء الإسرائيلي، هذه الكلمات في مذكراته: « **كاستنر. كابوس مرعب.** » ويشير براند في كتابه إلىٰ كاستنر ويقول: «**رجال السياسة الذين يتسمون بالحذر، كانوا لا يعرفون ماذا سيفعلون مع هذا الرجل بعد محاكمته**»، **وكانوا يفكرون في** «**إسكاته**» والحقيقة أن كاستنر كان يرفض كل الاتهامات التي ألصقها اليهود بالنازيين ومن بينها الاتهام بالإبادة.بل إنه كان يجرّم الصهيونية في الكثير من أعمالها ولهذه الأسباب تم القضاء عليه واستمرّت الصهيونية في خدعها وتضليلها للشعوب.

مشروع الحل النهائي للقضية اليهودية

إطعام الأفواه الجائعة

1. لو أنه كان عند النازيين مشروع حقيقي لتصفية يهود أوروبا لكانوا سيقدرون بالتأكيد علىٰ إبادة كافة اليهود المقيمين في مناطق النفوذ الألماني، علماً بأن اليهود ظلوا يعيشون كغيرهم في تلك المناطق حتىٰ بعدما انتهت الحرب.
2. وعندما دخلت جيوش الحلفاء إلىٰ معسكرات الاعتقال في نهاية الحرب وجدوا الكثير من اليهود داخل المعتقلات !!...فلو افترضنا وجود مشروع تصفية لليهود نتساءل ونقول: لماذا بقي هؤلاء اليهود معتقلين، ولماذا لم تتم تصفيتهم؟
3. إن بين المعتقلين والذين ظلّوا في معسكرات الاعتقال مئات من اليهود تحدّث بعضهم عن وجود محرقات وغرف غاز وتصفية وإبادة لليهود وأثبتوا بالوقت نفسه بأنهم بقوا في المعتقلات مدة تزيد عن سنة واحدة وبعضهم سنتين وبعضهم

أربع سنوات. وتحدث بعضهم عن نقله من معسكر إلىٰ آخر عدة مرات. وهنا نتساءل لماذا لم تتم تصفية هؤلاء أنفسهم طوال تلك المدة الطويلة التي قضوها في المعتقلات؟ وإن كل واحد منهم يقول بأنه نجا بأعجوبة لكن الجواب القاطع هو بالطبع أنهم لم يقتلوا لأنه لم تكن هناك تصفية لليهود كمشروع ألماني.

4. إن القسم الذي فقد من يهود أوروبا أثناء الحرب يمثل رقماً صغيراً جداً ولا يدل علىٰ حدوث أية إبادة، وان من مات منهم في المعتقلات أو معسكرات الإقامة الجبرية إنما مات بسبب الحالة السيئة أو انتشار الأمراض والأوبئة كغيره من المعتقلين الآخرين. ويؤكد ذلك عدد من المؤرخين الأوروبيين. ويقول روبير فوريسسون عن هذا الموضوع:

« إن كل يهودي ما يزال علىٰ قيد الحياة هو البرهان الساطع علىٰ عدم وجود الإبادة. وهؤلاء الباقون علىٰ قيد الحياة قد عرفوا وتنقلوا علىٰ التوالي من معسكر إلىٰ آخر. وأكثرهم دخلها في طفولته، ولم يجبر الأطفال علىٰ العمل. لقد كانوا إذا صح القول أفواهاً يجب إشباعها دون فائدة»،

تشغيل اليهود قبل تهجيرهم

تفيد كافة الوثائق التاريخية المحفوظة في متاحف آشويتز بأن هتلر كان يسعىٰ لتشغيل اليهود في معتقلات إقامة جبرية، قبل تهجيرهم وإجلائهم عن أوروبا كلها، وإن مشروع تهجير اليهود نحو مدغشقر أو فلسطين كان الحل النهائي لقضية اليهود عند هتلر. وقد كان بالاتفاق مع اليهود أنفسهم، بل وبرغبة ملحّة منهم. تقول الوثيقة الرسمية المحفوظة في متحف آشويتز برقم / حزيران 1962 صفحة 78: «.. في أيار 1944 أمر هتلر باستخدام مائتي ألف يهودي كعمال في برنامج البناء المسمىٰ بالألمانية وفي 18 تشرين الثاني 1943 صدر عن قيادة الصاعقة الألمانية أمر يعطي جائزة للسجناء، حتىٰ اليهود منهم، الذين سوف يتميزون بالعمل...» وتقول الوثيقة الثانية التي تحمل الرقم

No 20 – a : «... بين العامين 1942 و1944 كان 31 معسكراً نازياً من بين 39 معسكراً تابعاً لآشويتز تستخدم السجناء كيد عاملة، وكان 19 منها يستخدم أغلبية من اليهود .» وفي 25 كانون الثاني 1942 وجّه هيملر إلىٰ المفتش العام لمعسكرات الاعتقال الكتاب التالي الذي يقول فيه: «تهيؤوا لاستقبال مئة ألف يهودي . إن مهمات اقتصادية هامة سيعهد بها إلىٰ المعسكرات في الأسابيع المقبلة...» وإن معسكر الاعتقال نفسه كانت عند مدخله عبارة كبيرة تتصدر الباب الرئيس تقول: (الحرية هي العمل) وهي مازالت موجودة حتىٰ يومنا هذا وتدل علىٰ صحة مشروع تشغيل اليهود. كما وتحوي موسوعة الحرب الأخيرة العديد من الصور التي تظهر تشغيل اليهود كيد عاملة في مناطق عديدة.(24) كان النازيون في حاجة ماسة للأيدي العاملة، وقد أرسل هملر مذكرة إلىٰ أحد رؤساء معسكرات الإبادة (بتاريخ 25 يناير 1942) يخبره فيها أن يستعد لاستقبال 200 ألف يهودي حيث ستسند للمعسكر مهام اقتصادية مهمة. وفي مايو 1944 أصدر هتلر أمراً باستخدام 200 ألف يهودي كعمال في أحد المشاريع الإنسانية. وقد أصدرت قيادة الإس. إس .S. S أمراً بمنح مكافأة لكل السجناء (ومنهم اليهود) الذين أبلوا بلاءً حسناً في العمل. كما وفرت المؤسسات النازية لهؤلاء العاملين كل الأنشطة الترفيهية، وضمنها بيت دعارة اعتبرته لزيادة الإنتاجية.

الوثائق الألمانية

الحقيقة أنه حتىٰ اليوم لم يسمح بكشف كافة وثائق الحرب لعموم الباحثين والمؤرخين، لكن تم الكشف عن بعض الوثائق القليلة ، وفي الوثائق الألمانية التي مازالت محفوظة حتىٰ الآن، تم العثور علىٰ أوامر ومراسلات تستخدم مصطلحي (الحل النهائي و المسألة اليهودية). وكانت هذه المصطلحات تدل علىٰ المشروع الألماني المرتبط باليهود ، وهو تهجيرهم وإبعادهم عن أوروبا. وكان المشروع الأول الذي قرره هتلر يتضمن إبعاد اليهود عن أوروبا الغربية ونقلهم إلىٰ أقاليم أوروبا الشرقية.وتجميعهم هناك بغية نقلهم بعد الحرب إلىٰ موطن بعيد وهو مدغشقر.

تقول المذكّرة التي تم توزيعها في آذار 1942 :

«... أعلم الوزراء بأن يهود أوروبا يجب تركيزهم في الشرق، بانتظار أن نستطيع إرسالهم بعد الحرب إلىٰ إقليم بعيد، كإقليم مدغشقر، وسيكون وطنهم القومي في المستقبل..» (25)

وتقول الوثيقة الثانية وهي رسالة مرسلة من هيدريش إلىٰ غورينغ قال فيها:

«... أعطيتني في العام 1939 أمراً باتخاذ تدابير تتصل بالمسألة اليهودية، فهل يتوجب عليّ الآن أن أتوسع بهذه المهمة التي عهدت بها إليّ آنذاك إلىٰ الأقاليم التي استولينا عليها في روسيا؟ ...» (25)

ومن بين الوثائق تلك الرسالة التي وجهها هملر إلىٰ هتلر ويقول فيها:

«.. آمل أن أرىٰ المسألة اليهودية محلولة نهائياً بفضل هجرة كل اليهود إلىٰ أفريقيا أو إلىٰ مستعمرة أخرىٰ..»

وتحمل الوثيقة التالية قرار هتلر الواضح بهذا الموضوع، فقد كتب السيد أديهاشير وهو مسؤول ألمانيا 111 في وزارة الخارجية وبتاريخ 15 شباط 1942 رسالة رسمية محفوظة حتىٰ اليوم وتقول:

«.. إن الفوهرر قد اتخذ قراراً بنقل اليهود نحو الشرق وليس نحو مدغشقر، وهكذا لم تعد حاجة لتصور مدغشقر كهدف لمشروع الحل النهائي...»

اعتماد مذكرات كاذبة

وفي مجال توظيف الإبادة يلجأ الصهاينة أحياناً لاختلاق القصص أو تزييف الحقائق كما حدث في حادثة آن فرانك (1929 ـ 1945)، وهي فتاة ألمانية هاجرت إلىٰ هولندا مع أسرتها بعد وصول هتلر إلىٰ السلطة في عام 1933. وحينما قرر النازيون إرسال أختها إلىٰ معسكرات العمل، اضطرت هي وأسرتها إلىٰ الاختباء، فعاشوا في

مخبئهم ما يزيد علىٰ عام، ثم أُلقي القبض عليهم ورُحِّلوا إلىٰ معسكرات الاعتقال حيث لقيت آن وأختها حتفهما بسبب المرض.

ويُقال إن آن فرانك كتبت، أثناء فترة اختبائها، مذكراتها التي نُشرت بعد الحرب وتُرجمت إلىٰ الإنجليزية. وهناك الكثير من الشكوك التي تحيط بهذه المذكرات إذ يُقال إنها لم تكتبها بنفسها بل كتبها أبوها (أو بعض من حوله) بعد موتها بطريقة مثيرة ليحقق من ورائها ربحاً مالياً. ولهذا فهي لا تُعتبَر وثيقة تاريخية يُعتد بها. ومع أنها ليست ذات قيمة أدبية كبيرة، إلَّا أنها أصبحت مصدراً لعدة أفلام ومسرحيات. كما غدت آن فرانك إحدىٰ الأساطير التي تُستخدَم للتحدث عن إبادة نازية إجرامية مرعبة. بل وأصبح المنزل الذي اختبأت فيه أسرة فرانك متحفاً يزوره السياح والتلاميذ.

معسكرات الاعتقال

أُقيمت معسكرات الاعتقال في ألمانيا عام 1933 بعد استيلاء النازيين علىٰ الحكم، فكان البوليس السري الألماني (جستابو) يقوم بالقبض علىٰ خصوم الحكومة النازية واحتجازهم في هذه المعسكرات. وحين عظم نفوذ الجستابو وأُعطي الحرية المطلقة في التصرف، أصبحت عمليات القبض تتم علىٰ نطاق واسع، فقُبض علىٰ جماعات بأكملها ثم أُرسلت إلىٰ معسكرات الاعتقال. ولم تكن هذه العمليات موجهة ضد اليهود بالذات، وإنما كان يُعتقل كل من يشكل خطراً علىٰ الدولة الجديدة بغض النظر عن دينه أو جنسيته. وقد وقعت أول حادثة موجهة ضد اليهود في نوفمبر 1938 عندما وُضع عشرون ألف يهودي في هذه المعسكرات في داخاو وبوخنوالد. من معسكرات الاعتقال الشهيرة الأخرىٰ، معسكر برجن بلسن وقد أُقيمت ستة معسكرات للاعتقال في بولندا، هي: كلمنو - بيلزك - سوبيبور - ماغدانيك - تروبلينكا - آوشفيتز ـ بيركناو ولم تكن معسكرات الاعتقال مخصصة لليهود وحدهم وإنما كانت أداة من أدوات النظام النازي تُستخدَم لتحقيق أهدافه القومية، بل إن عدد ضحاياها من غير اليهود يفوق عدد ضحاياها من اليهود. ومن

المهم بمكان أن نضع معسكرات الاعتقال والإبادة في سياقها الحضاري والمعرفي العام. فمنذ بداية التشكيل الحضاري الغربي الحديث أصبحت معسكرات الاعتقال والإبادة نمطاً متكرراً، حيث تم نقل سكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر) إلىٰ معسكرات اعتقال منعزلة كان يُطلَق علىٰ كل واحد منها اسم Reservation تمهيداً لإبادتهم بشكل مباشر أو غير مباشر. وكانت عملية النقل ذات طابع إبادي. وكان السود، الذين يجري اصطيادهم في أفريقيا ونقلهم إلىٰ أمريكا، يتم وضعهم في معسكرات أيضاً ويسكنون في مساكن هي أقرب ما تكون إلىٰ معسكرات السخرة. وفي الحرب العالمية الثانية، وضعت الولايات المتحدة الغالبية الساحقة من المواطنين الأمريكيين من أصل ياباني في معسكرات مماثلة. وفي جنوب أفريقيا قامت حكومة التفرقة العنصرية بوضع المواطنين الأصليين في معازل جماعية يُقال لها «البانتوستان». وفي عصرنا هذا أنشأت الولايات المتحدة معتقلاً إبادياً لمن تتهمهم بالانتماء إلىٰ القاعدة في غوانتانامو والدليل علىٰ أنه معتقل إبادي ذلك ما نسمعه عن انتحار العديد من المعتقلين. رغم أننا نتصورهم مؤمنين مسلمين وأن إيمانهم يمنعهم من الانتحار. وكانت معسكرات الاعتقال النازية معسكرات سخرة، ولذا نجد أن العدد الأكبر من المحتجزين كان يُستخدَم في أعمال السخرة. وقد أُسِّس بجوار آوشفيتز، علىٰ سبيل المثال، ثلاثة مصانع كبرىٰ لإنتاج بعض المواد اللازمة للعمليات العسكرية. وإنه ثمة أفلام وصور مازالت تعرض وتبين تشغيل المعتقلين في تلك المصانع وغيرها. وكانت بعض الشركات الألمانية تستأجر المعتقلين عشر ساعات يومياً للعمل لديها، ونظراً لحرصها الشديد علىٰ الأيدي العاملة الرخيصة فقد كانت توفر لهم بعض الأنشطة الترفيهية وكان من ضمنها ممارسة الرياضة والاستحمام هذا إضافة لوجود بيت دعارة خاص بالمعتقلين.

وكانت المعسكرات تدار بطريقة تتسم بنوع من الإدارة الذاتية، فكان يتم اختيار بعض العناصر من بين المساجين يشكلون نخبة داخل هذه المعسكرات،وتكون بمنزلة

حلقة الوصل بين المساجين والألمان. ويُطلَق عليهم اسم كابو ،وكان بعضهم من اليهود بطبيعة الحال. وكان كثير من هؤلاء يحرصون علىٰ إظهار القسوة نحو المساجين حتىٰ يحظوا برضا الألمان.ومن المعروف أن المساجين الألمان كانوا يُعاملون غالباً بقسوة تفوق ما يعامل به الآخرون ومن ضمنهم اليهود لأنهم كانوا يُعتبَرون خونة .

واتسمت معسكرات الاعتقال بكفاءتها الشديدة وتحكُّمها الكامل في المادة البشرية التي كانت تُصنَّف بعناية وتُوظَّف علىٰ أحسن وجه. وقد حققت هذه المعسكرات عائداً كبيراً للاقتصاد الوطني الألماني. وهذه الصور لاتدلّ إطلاقاً علىٰ أي وجود لمشروع إبادة لليهود، علماً بأن عشرات الآلاف من الشهود تشير إلىٰ أعمال التشغيل والسخرة وتؤكدها.

معسكر آوشفيتز

يُعَدُّ معسكر آوشفيتز أشهر وأهم معسكرات الاعتقال النازية. وكان يُقال دائماً إن عدد ضحايا آوشفيتز هو أربعة ملايين، منهم مليون ونصف مليون يهودي، والباقون غير يهود. والسند الأساسي لأسطورة إبادة هذه الملايين في آوشفيتز هي اعترافات رودولف هس أثناء محاكمات نورمبرج. وقد ثبت أن كثيراً من أدلة الاتهامات في محاكمات نورمبرج هي في معظمها اعترافات منتزعة بالقوة وبالتعنيف. بحيث يدين خلالها المتهمون أنفسهم، بعد أن ظلوا في الأسر عامين أو يزيد تعرضوا فيها للتعذيب والامتهان. ورغم ذلك فقد أخفي عدد كبير من الوثائق والشهادات التي كان من شأنها تحطيم الأساطير التي حاول الحلفاء نسجها. وهناك من البحوث ما يشير إلىٰ أن العدد الإجمالي لا يمكن أن يزيد علىٰ 1.6 مليون، وأنهم قضوا حتفهم لا من خلال أفران الغاز وإنما بسبب الجوع والمرض، والموت أثناء التعذيب، والانتحار.

وفي عام 1994 تم تغيير اللافتة الموضوعة علىٰ المعسكر، فبعد أن كانت اللافتة القديمة تتحدث عن مقتل أربعة ملايين رجل وامرأة وطفل أصبحت اللافتة الجديدة

تتحدث عن مليون ونصف فقط . ولعلّ هـذا التراجـع الإعلامـي في تفخـيم مـسلّمة الإبادة يعتبر خطوة صـغيرة نحـو الحقيقـة. واعترافـاً غربيـاً بجريمـة تزويـر التـاريخ والإدانة وقد أصبح معسكر آوشفيتز (في الخطاب السياسي والحضاري الغـربي) رمـزاً دالاً علىٰ عدة مدلولات:

- فهو رمز مباشر علىٰ الإبادة النازية لليهود بمعنىٰ التصفية الجسدية المتعمدة .
- كما أصبح معسكر آوشفيتز دالاً يشير إلىٰ كل جـرائم الإبـادة التـي تـتم بشكل منهجي لا شخصي بيروقراطي (ولكن الصهاينة يرفضون استخدام الاسم علىٰ هذا النحو حتىٰ يحتفظ معسكر آوشفيتز بقداسته اليهودية التي أضفيت عليه.

ويقـول تيودور أدورنو (أحـد مفكري مدرسة فرانكفورت):

«**لا شعر بعـد آوشـفيتز**»، أي لا يمكـن لأي إنسان أن يقـرض الـشعر بعـد أن كشفت الإنسانية عن وجهها القبيح في آوشـفيتز - أمـا في التفكـير الـديني المسيحي واليهودي في الغرب، فقد أصبح معسكر آوشفيتز رمزاً للعالم المادي الذي لا معنىٰ لـه والذي لا هدف له ولا غاية، فهو عالم انسحب منه الإله، ولذا يُقـال لاهـوت مـا بعـد آوشفيتز ويقصد به «لاهوت موت الإله». ويذهب الـبعض إلىٰ أن معـسكر آوشـفيتز أصبح مدلولاً (متجـاوزاً) لا يمكـن لأي دال أن يـدل عليـه. ويقولـون: إن التجربـة اليهودية في آوشفيتز لا يمكن فهمها أو تفسيرها وإنما يمكن تجربتها وحسب. ومـن لم يعش التجربة لن يفهم ما حدث، وصرح **ناحوم جولـدمان** بـأن إسرائيـل هـي كارثـة تاريخية كبرىٰ، تفوق ما حـدث في آوشـفيتز، ومـن ثـم تحـل الدولـة الـصهيونية محـل آوشفيتز باعتبارها أكبر كارثة حاقت بالجماعات اليهودية في العالم وقد أصبح معـسكر آوشفيتز موضع جدل كبير بين المسيحية واليهودية فقد أُقيم دير للراهبات الكرمليات في بقعة يقال أن الألمان أبادوا فيها كثيراً من البولنديين من المسيحيين واليهـود ،وتقـرر أن تُقام الصلوات يومياً من أجل الجميع.

ولكن بعض القيادات اليهودية في الولايات المتحـدة احتجـت عـلىٰ مـا رأتـه أن

يتحول آوشفيتز إلىٰ إبادة مسيحية، وأصرت علىٰ ضرورة أن يُزال هذا الدير حتىٰ تظل آوشفيتز رمزاً يهودياً خالصاً. وقد أذعنت القيادة الكاثوليكية في نهاية الأمر لهذا المطلب وأزيل الدير.وهنا تعلن الصهيونية صراحة بأنها تريد احتكار الإبادة لنفسها، وتمنع بالوقت نفسه الآخرين من الاستفادة منها. ولنا أيضاً أن نتلمس مقدرة الصهيونية علىٰ الضغط علىٰ المسيحية الكاثوليكية في عقر دارها.

وثيقة الإدانة الوحيدة

إن وثيقة الإدانة الوحيد التي استطاعت الصهيونية أن تنتزعها بالضغط والتحايل هي قرارات ونتائج وأحكام محكمة نورنبيرغ. واعترافات المتهمين بارتكاب جرائم الإبادة، وبوجود غرف غاز وأفران الإبادة.

لكن تلك التهم كانت قد صدرت وأذيعت في العالم قبل بدء المحاكمات والاستجوابات وقبل القبض علىٰ المتهمين أنفسهم، كما وتؤكّد الوثائق الكثيرة بأن أولئك المتهمين قد تعرضوا للتعذيب الكبير وللضغط الشديد وأن أقوالهم قد انتزعت منهم انتزاعاً وفرضت عليهم فرضاً.

يقول أهم شاهد ومتهم بالإبادة رودولف هيس في مذكراته في الصفحة 174 وقد كان قائد معسكر آشويتز النازي:

«... في أول استجواب لي، تم الحصول علىٰ اعترافاتي بالضغط والضرب ، وقد أرغمت علىٰ التوقيع علىٰ محضر استجوابي دون أن أعرف محتواه...»

«.. اعتقلوني في الساعة 11 ليلاً واقتادوني إلىٰ ثكنة في هايدين، وهناك ظلّوا يعاملونني بوحشية، وقدّموا لي مقادير كبيرة من الكحول وضربوني بالسوط كثيراً ، وعندما خارت كل قواي أجبروني علىٰ التوقيع علىٰ محضر استجوابي الأولي...»

وفي عام 1983 كشف (روبيرت بيتلر) في كتابه الفاضح والمعنون فرق الموت عن

obeikandi.com

التعذيب الذي مورس علىٰ رودولف هيس، وقد استمدّ الكاتب تلك المعلومات من العميل (برنارد كلارك) الذي اعتقل هيس فيقول:

«.. استمر تعذيب رودولف هيس ثلاثة أيام لانتزاع اعترافه الخطير..»

« لقد استمر تعذيب وضرب هيس إلىٰ حدّ تدخل فيه ضابط الصحة بإلحاح لدىٰ النقيب المحقق وقال له متوسلاً: - إذا لم تتوقف عن تعذيبه فسيصبح جثة هامدة».

وفي العام 1948 أرسلت من الولايات المتحدة إلىٰ ألمانيا لجنة قضاة للتحقق من المحاكمات الخاصة بالنازيين، فعادت بتقرير يقول:

«... تمت محاكمة 15000 ألماني نازي وحكم علىٰ 420 منهم بالإعدام، وقد أخضع كافة المتهمين للضرب والتعذيب وانتزاع الأقوال والاعترافات التي تريدها المحكمة. وفي 139 حالة تم فحصها تبين أن 37 حالة منها تمتلك جروحاً وآفات لا تشفىٰ بسبب الضربات العنيفة التي تلقاها هؤلاء علىٰ خصيهم..».

تنشيط اليهود أم إبادتهم؟

قيل بأن اليهود خرجوا من الحرب بأكبر الخسائر، لكن الواقع يدل علىٰ عكس ذلك تماماً. وهنا يتوجب علينا أن نطرح هذه التساؤلات:

ترىٰ هل كانت الحرب العالمية الثانية موجهة ضد اليهود بالدرجة الأولىٰ حتىٰ يخرجون بأكثر الخسائر؟ وهل كانوا هم موضوع الحرب وهدفها وسبب قيامها؟ وهل كان همّ هتلر الوحيد هو التخلص من اليهود وإبادتهم.؟

لم يكن اليهود بالطبع لا الهدف ولا السبب ولا الضحية ولو كان الأمر كذلك لكان الألمان سيلجؤون إلىٰ تصفية اليهود بسهولة واختصار المعارك الواسعة الكبيرة.

إن ما نتج عن الحرب العالمية الثانية هو تنشيط لا مثيل له ليهود العالم، وليس إبادتهم، فبعد ثلاث سنوات من انتهاء الحرب منح المنتصرون لليهود حق إقامة دولة إسرائيل في العام 1948 .

لقد كانت خسائر الحرب كبيرة جداً بالنسبة لكل الذين خاضوها عدا اليهود. فقد بلغ عدد مجموع القتلىٰ خمسين مليوناً، منهم 17 مليون سوفييتي وتسعة ملايين ألماني وعشرات الملايين من بولونيا ودول أوروبا. وعدة ملايين أخرىٰ من المجندين للحرب الذين اقتيدوا من إفريقيا وآسيا والدول الفقيرة. وعلىٰ هذا كان يمكن للاتحاد السوفييتي الذي خسر 17 مليون قتيل أن يطالب هو بالتعويضات من ألمانيا المهزومة. لا أن تطالب بها إسرائيل وتحصل عليها.

عدد الضحايا حسب الأساطير المختلفة

تباينت الأرقام التقديرية لعدد الضحايا اليهود الذين زعمت الأساطير بأنهم أبيدوا علىٰ أيدي النازيين الألمان، وهذا التباين في الأرقام التقديرية، وغياب الدقة في حصر الأرقام الحقيقية ليس سوىٰ دليل آخر علىٰ الأكذوبة نفسها. وهذه بعض الأرقام:

- كان عدد الضحايا اليهود في ثلاث معسكرات 2.5 مليون ضحية حسب تقرير جيرشتاين.
- 8 مليون ضحية في معسكر آشويتز وحده حسب فيلم ليل الضباب
- 8 مليون ضحية في الحرب كلها حسب وثائق لخدمة تاريخ الحرب.
- 6 مليون حسب وثائق محاكمة أدولف آيخمان
- 5 مليون في معسكر آوشفيتز وحده حسب وثائق يهودية عديدة.
- 4 مليون ضحية بموجب التقرير السوفييتي الذي منحته محكمة نورنبيرغ قيمة دليل رسمي.
- 2 مليون ضحية حسب المؤرخ ليون بولياكوف.
- 1 مليون ونصف المليون حسب لوسي دافيدوفيتش
- 1 مليون ومئتان وخمسون ألفاً حسب المؤرخ راوول هيلبيرغ.
- 1 مليون يهودي فقط حسب راوول هيلبيرغ في مرجع آخر له.

يهود فرنسا لم يختفوا

في كانون الأول 1978 أصدر سيرج كلارسفيلد (33) مذكرة نهائية عن أرقام المعتقلين والمقتولين اليهود في فرنسا خلال أربع سنوات في ظل الاحتلال الألماني لفرنسا. ودام التحقيق عشرين سنة، وقامت به لجنة تاريخ الحرب العالمية الثانية. وبعدما صدر التقرير النهائي أخفي في المكتبة الوطنية في فرنسا وتم منع كشفه للباحثين. وإن أهم ما أعلنته اللجنة عن هذا التقرير هو أن ربع اليهود الفرنسيين قد تم اعتقالهم.ولا يعطي التقرير رقماً دقيقاً ، وقد ظهرت في فرنسا بعض الأرقام المتناقضة عن عدد اليهود المفقودين في زمن الحرب. فكتاب التاريخ في منهاج الباكالوريا قسم ثاني يعطي الرقم 200 ألف معتقل يهودي، وسيرج كلارسفيلد نفسه تحدث عن الرقم 76 ألف معتقل، ويعطي هنري ميشيل الرقم 28 ألف ، ويعلق فوريسون علىٰ تلك الأرقام فيقول:

«.. إن الفارق بين ما هو في التقرير وما يعتقده الجمهور لهو كبير جداً جداً ، وإن الرقم الحقيقي قد أخفي بسبب هذا الفارق، انظروا إلىٰ أصدقائكم اليهود الذين تعرفونهم، سترون أنهم جميعاً معكم ولم يختفِ منهم أحد أثناء الاحتلال الألماني ،، انه لم تكن هناك إبادة ليهود فرنسا علىٰ الإطلاق..» (34)

ناثان ياهو يحمّل الجميع المسؤوليةعن الهولوكوست

في العام 1996 وعندما كان رئيساً لوزراء الكيان الصهيوني، أصدر ناثان ياهو كتابه المسمىٰ مكان تحت الشمس وتحدث فيه عن الهولوكوست ، واتهم أطرافا عربية بالمسؤولية عن إبادة اليهود. كما اتهم البريطانيين بتصفية اليهود. واتهم الحلفاء بغضّ النظر عن إحراق اليهود في الأفران. فقال:

«.. كان الجيستابو يرسل إلىٰ البحر سفناً محمّلة بيهود ألمانيا، لكي يثبت بأن أحداً لا يريدهم ، وكان البريطانيون يطلقون النار عليها ويعيدونها إلىٰ حيث أتت.» (28)

لكنه يكذب في هذه المقولة ، والحقيقة هي أن البريطانيين، دعموا إقامة الكيان الصهيوني، منذ إذاعة الأكذوبة وحتىٰ وعد بلفور. وإن الصهاينة المتطرفين هم أنفسهم الذين كانوا يدمّرون السفن التي تحمل يهوداً قادمين من بريطانيا، لأن أولئك اليهود لم يكونوا آنئذ ينتمون لنفس الجماعات والأحزاب اليهودية المتطرفة التي استولت علىٰ أرض فلسطين، ويقول ناثان ياهو أيضاً:

«في زمن الحرب العالمية انتشرت في الشارع العربي أهزوجة تقول:

لا مسيو ولا مستر

الله في السماء

وفي الأرض هتلر (29)

«قال ايتر فيليتسكاني نائب أدولف أيخمان أن الحسيني كان له دور في اتخاذ قرار بإبادة يهود أوروبا، فيجب عدم تجاهل دوره هذا ، فقد اقترح المفتي أكثر من مرة علىٰ النازيين إبادة يهود أوروبا. وكان يرىٰ في ذلك حلا مناسباً للقضية الفلسطينية.« (30)

« في أعقاب الحرب اكتشف مجرمو الحرب النازيون وقدموا للمحاكمة، لكن هذا لن يحصل في العالم العربي.» (31)وهنا يكذب ناثان ياهو لأن الإبادة كلها لم تحصل علىٰ الإطلاق ولأن خير دليل علىٰ موقف العرب من اليهود هو أن اليهود المواطنين في الدول العربية مازالوا يعيشون حتىٰ يومنا هذا في أحيائهم الخاصة بهم في المدن العربية، وأنهم لم يتعرضوا، لأي تهديد أو خوف. ويقوم ناثان ياهو بهذا الادعاء لهدف آخر يريده. فهو يريد تثبيت أسطورة الأكذوبة في الأذهان ، واستخدامها كذريعة ليحقق بواسطتها تثبيت الحقد اليهودي في أذهان اليهود،علىٰ العرب والمسلمين.

ثم يقول:**« لقد كان في الإمكان وقف العمل في ذلك المسلخ معسكر الإبادة من خلال طلعة جوية واحدة يقوم بها سرب من القاذفات، ولم تكن هناك حاجة سوىٰ لإعطاء أمر بسيط واحد لإحدىٰ الطائرات لكي تنحرف قليلاً وتوقف تلك المجزرة، لكن ذلك الأمر لم يعط أبداً.»** (32)

ومن كلام ناثان ياهو نلاحظ كيف تستمر الصهيونية بمحاولات تحقيق المكاسب من أسطورة المحرقة، ورغم أن الحلفاء قد أهدوا الصهيونية أعظم العطاءات عندما وضعوا أنفسهم في مكان المدافع عن خديعة الأسطورة، وأنهم كانوا المؤيد القوي لأكذوبة الإبادة بل والناشرين لها، ورغم أن حكام تلك الدول خدعوا أنفسهم وشعوبهم وشعوب العالم كله بتلك الأسطورة، جاء ناثان ياهو ينكر لكل تلك العطاءات التي قامت إسرائيل علىٰ أساسها، ويتّهم الحلفاء بأنهم تخاذلوا عن منع حدوث الإبادة وبأنهم كانوا يغضّون النظر عن أعمال الإبادة..ونلمس مكر ناثان ياهو في تصريحاته تلك ومكر اليهود كعادتهم، وصدق الله العظيم في وصفهم ووصف كفرهم.

يقول الله سبحانه وتعالىٰ في سورة البقرة: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[البقرة2/ 100].

تطور المصطلحات العالمية المتعلقة بالإبادة

ومن ضمن المنظومة الفكرية الجديدة التي استحدثتها الصهيونية اعتماداً علىٰ مزاعم الإبادة كانت انتشار مصطلحات عالمية جديدة في مجالات عديدة، وتنطلق هذه من كلمة الهولوكوست وكلمة الإبادة:

الإبادة: يُستخدَم مصطلح الإبادة في العصر الحديث ليدل علىٰ محاولة القضاء علىٰ أقلية أو طائفة أو شعب قضاء كاملاً.

إبادة اليهود: The Jews of extermination يُطلَق مصطلح إبادة اليهود في الخطاب السياسي الغربي للتعبير عن محاولة النازيين التخلص من أعضاء الجماعات اليهودية في ألمانيا وفي البلاد الأوربية (التي وقعت في دائرة نفوذ الألمان) عن طريق تصفيتهم جسدياً (من خلال أفران الغاز والمحارق).

جينوسايد genocide: وهي كلمة تتألف من مقطعين «جينو» من الكلمة اللاتينية genus بمعنىٰ «نوع» و caedes بمعنىٰ «مذبحة» وتستخدم كلمة جينوسيد للاشارة

إلىٰ محارق عنصرية ضد اليهود.

الحل النهائي: وهذا مصطلح ألماني نازي كان يقصد به التخلص من اليهود وذلك بنقلهم إلىٰ دولة أخرىٰ واقترحت لذلك سورية ومدغشقر وفلسطين ودول شرق أوروبا، وقد حرّف المتطرفون الصهاينة هذا المصطلح وأصبح في الوثائق اليهودية والغربية الرسمية يدل علىٰ مشروع نازي لإبادة اليهود.

الهولوكوست الصامت: Silent Holocaust يستخدم الصهاينة هذا المصطلح في مناسبات عديدة، وهم يشيرون ، علىٰ سبيل المثال، إلىٰ «الزواج المختلط» بين اليهود بأنه «الهولوكوست الصامت وحينما يُصعِّد العرب من مقاومتهم للمستوطنين الصهاينة فإنهم ـ حسب المصطلح الصهيوني ـ يهددونهم بالهولوكوست. واستخدمت إحدىٰ الصحف هذا المصطلح للإشارة إلىٰ إحدىٰ صفقات أسلحة الميراج بين ليبيا وفرنسا.

هولوكوستي Holocausty: وهي اسم صفة مشتق من هولوكوست. استخدم أحد المتحدثين الصهاينة كلمة «هولوكوستي، فأشار إلىٰ أحد الأفلام بأنه ليس «هولوكوستي Holocausty» بما فيه الكفاية.

هولوكيتش Holokitsch: ويتم في الوقت الحاضر الاتجار بالهولوكوست وتوظيفها لخدمة الأهداف الصهيونية والتجارية. وقد ظهرت مجموعة من المصطلحات المشتقة من كلمة «هولوكوست» والتي تُعبِّر عن الاستياء العميق من عملية التوظيف هذه. فنحت أحد الكُتّاب كلمة «هولوكيتش Holokitsch» لوصف الكُتب والأفلام عن موضوع الهولوكوست والتي تُنتَج وتُنشَر بهدف تحقيق الربح، حيث إنها تحاول إثارة العواطف واستغلالها علىٰ أسوأ وجه. وكلمة «كيتش» في اللغة الألمانية تعني الأعمال الفنية الشعبية الرديئة.

هولوكوست بوزنيس: كما ظهرت عبارة «هولوكوست بيزنس» «Holocaust business» أي «مشروع الهولوكوست التجاري»، بمعنىٰ توظيف الهولوكوست تجارياً لتحقيق الأرباح العالية.

مصطلحات أدت إلى تشويه قيمة الإنسانية

إن علم الاجتماع الغربي يمتلك اليوم مصطلحات جديدة تربط مصطلحي «الإبادة» extermination و«التفكيك» deconstruction بمجموعة من المصطلحات الأخرىٰ التي استخدمها لوصف بعض الجوانب السلبية للحداثة الغربية، decentering man أي إزاحة الإنسان عن المركز ، بمعنىٰ إفقاد الإنسان مركزيته في الكون

- depersonalization . إسقاط السمات الشخصية للإنسان

- disenchantment of the world أي تحرير العالم من سحره وجلاله ،بمعنىٰ أن يصبح العالم مادة محضة لا أسرار فيها، يمكن للعقل الإحاطة بها ومعرفة قوانينها والتحكم فيها.

- desanctification desacralization أي «نزع القداسة عن الظواهر كافة ومنها الإنسان بحيث تصبح لا حرمة لها وينظر لها نظرة مادية لا علاقة لها بما وراء الطبيعة.

- demystification نزع السر عن الظواهر بما في ذلك الإنسان .

- denuding أي تعرية كل الظواهر من أية مثاليات ومنها الإنسان حتىٰ تظهر علىٰ حقيقتها المادية .

- dehumanization أي تجريد الإنسان من خصائصه الإنسانية .

وهذه المصطلحات تشوه الفكر الإنساني والعلوم بأنواعها، وإن نفوذ الصهيونية في المؤسسات العلمية العالمية وفي المؤسسات الإعلامية مكّنها من تثبيت هذه المصطلحات،وبواسطتها تبدأ عملية العلمنة الشاملة بعد المرحلة الإنسانية الهيومانية الأولىٰ أي بإزاحة الإنسان عن المركز ثم نزع الجوانب الشخصية عنه بحيث يصبح شيئاً ليست له خصوصية أو تفرُّد. ثم يُحرَّر العالم من سحره وجماله فيصبح الإنسان

والطبيعة مادة محضة، ثم تنزع عنه كل قداسة وتُهتَك كل أسراره، ويُعرَّىٰ من أية مثاليات لنصل إلىٰ نوع من أنواع الإباحية الأخلاقية المعرفية. ولعل من الضروري أن نربط كل هذه المصطلحات وغيرها بالمصطلح الذي أطلقه الصهاينة علىٰ الهولوكوست وهو «نهاية التاريخ» باعتبار أن نهاية التاريخ هي النقطة التي يتم التحكم فيها في كل شيء وينتهي الإنسان كما نعرفه، أي الإنسان الذي يشغل مركز الكون متجاوزاً النظام الطبيعي. ومفهوم نهاية التاريخ.

وقد صدر مصطلح نهاية التاريخ عن بعض اليهود المتطرفين الذين رأوا بأن المحرقة النازية كانت نهاية التاريخ ونهاية الرب اليهودي. ونهاية العصور اللاهوتية وبداية الإنسان المادي. وبذلك يكون اليهود قد شوّهوا القيم الإنسانية الهيومانية، وصبغوا الإنسان بالقيمة المادية البحتة. وإن العالم الغربي قد تأثر بشدة في هذه النظريات الهدّامة لكن الشرق المسلم حصّنه إسلامه وحماه منها. بل من الملاحظ أنه كلما ازدادت علمانية العالم الغربي وازداد ابتعاده عن الإيمان الديني. تزايد العمق الديني عند المسلمين وزاد تشبثهم بالمفهوم الإيماني.

تطور معنى الهولوكوست

يتعمّد الصهاينة إذاعة عبارة الهولوكوست والتذكير بها باستمرار للتأكيد علىٰ تثبيتها وترسيخها في أذهان الشعوب العالمية كلها، والشعب اليهودي خصوصاً. وذلك كله لأنها كمصطلح يقال أفادت الصهيونية أكبر إفادة حققه شعب من إشاعة كاذبة عبر التاريخ كله.

ومن هنا فلم يكتف اليهود بالمصطلح المعروف وحده بل وجاءت منه اشتقاقات لغوية عديدة.

وإن العقيدة اليهودية احتكارية؛ أي تحتكر الرب لليهود وحدهم وتحتكر لنفسها مزاعم صفاء العنصر والشعب الذي اختاره الرب والدين الذي اختاره الرب، ومن

هذا الاحتكار اليهودي لكل الأدوات المتاحة جاء احتكارها لمصطلح الإبادة ولكل ما نتج عنه.

يُشار إلىٰ الإبادة في معظم الأحيان بكلمة «هولوكوست» وهي كلمة يونانية تعني «حرق القربان الكامل» وتُترجم إلىٰ العبرية بكلمة «شواه»، وتُترجم إلىٰ العربية أحياناً بكلمة المحرقة.

وكانت كلمة هولوكوست في الأصل مصطلحاً دينياً يهودياً يشير إلىٰ القربان الذي يُضحَّىٰ به للرب، وكان القربان بشرياً أحياناً وحيوانياً أيضاً، ومن الواجب أن يُحرق حرقاً كاملاً غير منقوص علىٰ المذبح، ولا يُترك أي جزء منه لمن قدَّم القربان أو للكهنة الذين كانوا يتعيشون علىٰ بعض القرابين المقدمة للرب.

ويعتقد اليهود بأن للرب حصة طعام يتناولها من اليهودي. وبفناء القربان يكون الرب قد تناوله وأكله. ولذلك، كان الهولوكوست يُعَدُّ من أكثر الطقوس قداسة، وكان يُقدَّم تكفيراً عن جريمة الكبرياء.

ارتباط الأكذوبة بالعقيدة اليهودية

بعد انتشار الأكذوبة طرأت تطويرات وتحديثات في العقيدة اليهودية وفي الشريعة وفي تحديد صفات الرب وفي طرق العبادة وفي تحديد مفاهيم ومصطلحات الديانة اليهودية، بل واعتبر ذلك اليوم هو نقطة تحول كبيرة في التاريخ والعقيدة اليهودية. وقد تطور معنىٰ مصطلح الهولوكوست، واعتبر اليهود بأن الإبادة هي هدم الهيكل. وأشير إلىٰ أن الرب حقق إرادته وسكن مع اليهود في صهيون. وقال بعض المتفلسفين بأن الرب قد اختفىٰ بعدما انتهىٰ دوره.

الإبادة كمصطلح تاريخي وعقيدي يهودي

لم تكن فكرة الإبادة الشاملة وليدة لحظة عند الصهاينة الذين أذاعوا الأكذوبة بل هي فكرة وصورة راسخة في الذهن والتاريخ اليهودي منذ أن كانت اليهودية، فقد وردت في العهد القديم أوامر عديدة بإبادة سكان أرض كنعان وطردهم. كما وردت أوامر بإبادة المصريين وشعوب أخرىٰ. ولكن من الثابت تاريخياً أن العبرانيين والكنعانيين تزاوجوا، وأن معظم ادعاءات الإبادة التي تتحدث عنها النصوص اليهودية إنما كانت تعبّر عن رغبات العقل اليهودي وعن كره اليهود للشعوب الأخرىٰ.

ولا يمكن الأخذ بادعاءات اليهود بأنهم قاموا بإبادة تامة للكنعانيين كما ورد في التوراة، كما أن استيطان العبرانيين لم يتم عن طريق الغزو دفعة واحدة وإنما كان يحدث عن طريق التسلل الخبيث والاستيطان علىٰ دفعات بشرية يهودية، تماماً كما يحصل الاستيطان في فلسطين.وإن ادّعاء اليهود بأنهم كانوا قد أبادوا الكنعانيين إبادة تامة وإيمانهم بحدوث تلك الإبادة فذاك يدل علىٰ وجود أدبيات ومفاهيم إبادية جاهزة في الذهن اليهودي الحديث.ومن هذا الذهن انتشرت عدوىٰ الأداء الإبادي إلىٰ العقل الغربي ، فقام الأخير بأعمال إبادة كثيرة، ومن الذهن اليهودي نفسه أيضاً تم ابتداع الإبادة علىٰ أيدي النازيين.

ولا يقتصر مفهوم الإبادة عند اليهود علىٰ التاريخ وحده بل انه طقس ديني يتم فيه إبادة القربان المقدس.أو إبادة البشر كأضاحي حية تقدم للرب.

الإبادة هي هدم الهيكل

وفي الأدبيات الصهيونية يستخدم اليهود كلمة «حُربان» للدلالة علىٰ الإبادة.وهي كلمة عبرية تُستخدَم للإشارة إلىٰ «هدم الهيكل»، فكأن الشعب اليهودي الذي يزعم إبادته علىٰ أيدي النازيين هو هيكل الرب، أو البيت الذي يحل فيه الإله، والإبادة هي تهديم بيت الرب. فيصبح اليهود هم الهيكل وهم بيت الرب.وكلمة حربان ودلالاتها

تُدخل حادثة الإبادة في التاريخ اليهودي المقدَّس.

وإن اليهود هم الذين يقومون بهذا الربط بين المعنيين، وهنا يرتبط معنىٰ الإبادة ربطاً كبيراً بالعقيدة والنص اليهودي المقدس، ويضطر اليهود للكشف عن هذا الربط ليحققوا من خلاله أهدافاً دينية ومكاسب عنصرية، لكنهم بذلك يفصحون عن المقصد والهدف والدافع الذي جعلهم يبتدعون الأكذوبة.

يعتبر المتطرفون اليهود أنفسهم هيكل الرب والمحرقة التي تصنع للرب. ويعتقدون بأن الإبادة قد دمّرت هيكل الرب ، وإن هذا الربط التام بين حدث مزعوم وبين المبدأ العقيدي يدّل بقوة علىٰ أن الأكذوبة كلها إنما تولدت من ذلك الفكر اليهودي المتطرف نفسه.

وبهذا التشبيه والتعبير يقوم اليهود باحتكار مصطلح وتصميم الإبادة والمحرقة لأنفسهم كعنصر ديني يهودي. إذ أن الهيكل هو هيكل الرب اليهودي الذي يعتقد به اليهود وحدهم، فلا يمكن للمسيحية علىٰ سبيل المثال أن تحقق أي نفع أو أية شكوىٰ من الإبادة. وبالتالي لا يحق لها مناقشة الإبادة نفسها لأنها لا تمتلك في عقيدتها هيكلاً للرب. ولأن الأخلاق العامة تمنع مناقشة اليهود في أمور عقيدتهم الخاصة بهم. واعتماداً علىٰ كل هذا اتخذت قوانين صارمة تمنع مناقشة الإبادة والمحرقة انطلاقاً من المبدأ نفسه وهو أنها قضية عقيدية يهودية خالصة.

إن ربط الإبادة بالهيكل اليهودي المقدس أمر لا يمكن تمثيله في ذهن المسلم المتنور. وهذا يدل علىٰ تحرر أفكارنا من الخرافات والأساطير وعلىٰ عظمة إسلامنا.

نقل المبدأ الإبادي للشعوب العالمية

لم يعرف تاريخ شعوب العالم كلها فكراً ومبدأً إبادياً مثلما عرفه اليهود. فهم وحدهم الذين اختصّوا بالاعتقاد بالإبادة والتحدث بها، فلأنهم كشعب وعرق يحملون هذا المبدأ وهم كيهود يثبتونه في نصوصهم التوراتية. ولأنهم يحرقون الأضحية ويقومون

بإبادتها وتحويلها إلىٰ رماد، ويعتقدون بأن الرب أمرهم بذلك فهم يسحبون مبدأ الإبـادة علىٰ الغير ليصبح ممكناً تحقيقه علىٰ البشر جميعاً. هذا إضافة إلىٰ أنهم يعتقدون بـأن الـرب أمرهم بإبادة شعوب كثيرة في نصوص العهد القديم. فهم يمارسون طرق إبادة مـستمرة علىٰ الشعوب الكثيرة دون رادع أخلاقي أو حضاري. ففي جنوب لبنـان قامـت قـوات إسرائيلية عدة مرات بتدمير مراكز وآليات وبقتل جنود تابعين للأمم المتحـدة. رغـم أنّ هؤلاء لا يشتركون في الحروب معها. وفي فلسطين المحتلة قتلـت إسرائيـل عـدة مـرات مراسلين وغربيين رغم حيادهم الواضح. كما أنّ نشر الفكر الـصهيوني وفلـسفة الإبـادة علىٰ حساب المسيحية ما هو إلّا مشروع لإبادة المسيحية نفسها.

وكانت صورة الإبادة تتجلىٰ باستمرار في كافة النتاجات اليهودية اليومية. ومنهم انتقلت إلىٰ المجتمع السياسي الغربي، وكان ذلك بفـضل الاحتكـاك الكبـير بـين يهـود أوروبا وأبناء الغرب المـسيحيين. كـما وسـاهم المفكـرون والفلاسـفة اليهـود في نـشر مصطلحات ومفاهيم الإبادة في الذهن الغربي المسيحي. وفي القرون الأخـيرة تـشرب الغرب هذه المبادئ، وتبناها واعتمد عليها كمبرر في تنفيذ أعمال إبادة إجرامية عديـدة رغم أنها تخالف عقيدتـه المـسيحية الـسمحة. وتخـالف قيمـه الحـضارية التـي ينـادي بها. وبسبب ذلك المدّ الفكري الصهيوني أصبح الغربي يمارس الإبادة تلقائياً وبدون أيّ رادع أخلاقي أو ديني أو حضاري، ومن هنا نفسّر جرائم الإبادة الحقيقيـة التـي يقـوم بها جنود أمريكيون في العراق وأفغانـستان. ففـي هـذا اليـوم بالـذات20 آذار 2007 أعلن عن محاكمة جندي أمريكي لقتله عشرة مـواطنين سـجناء عـراقيين دون سـبب. وعندما أصبحت الإبادة ممارسة يومية في العـراق كـان لابـدّ مـن انتقـال عـدواها إلىٰ العراقيين أنفـسهم، فأصـبح الجنـدي العراقـي الـذي يحـضر أعـمال الإبـادة عـلىٰ يـد الأمريكيين أصبح يقوم بها وأيـضاً بـدون رادع دينـي أو وطنـي، لأن الأمريكـي بـرر للعراقي القتل بدون وجود للرادع. ثم انتقلت تلك الحمّىٰ إلىٰ الميليشيات والأفراد وإلىٰ الجماعات التي تحمل أيديولوجيات دينية إسـلامية، فـرغم أنّ الإسـلام يحرم علـيهم

اغتيال المسجد بكلّ من فيه وما فيه، رأيناهم يجدون مبررات للإبادة، وهذا السياق الذي بدأ في الذهن الصهيوني والذي امتدّ ليصل في النهاية إلىٰ الجماعات الإسلامية، يعكس الخطر الصهيوني علىٰ البشرية كلها.ويوجب علينا أن نحذر منه باستمرار.

ويستند الاستعمار الاستيطاني الغربي أيضاً إلىٰ الإبادة، فهذا ما فعله سكان أمريكا الشمالية البيض بالسكان الأصليين، وهي عملية استمرت حتىٰ أواخر القرن التاسع عشر ، فقد استخدم المستوطنون الجدد كافة طرق الإبادة البشعة في القارة الجديدة. كما أبادوا عشرات الملايين في قارة أفريقيا. كما ومارس اليهود أنفسهم عمليات إبادة كثيرة في الأراضي الفلسطينية التي اغتصبوها وفي لبنان .

ومن سمات مفهوم الإبادة الحديثة الذي أنتجته اليهودية، أنها ارتبطت بأيديولوجيات فكرية وسياسية منهجية، وأرادت تحييد الواقع كله (الإنسان والطبيعة) وتحويله إلىٰ مادة استعمالية ليست لها قداسة خاصة، وذلك حتىٰ يمكن التحكم (الإمبريالي) فيه وإخضاعه للتجريب بلا تمييز بين الإنسان والحيوان ، وهذه المفاهيم تبيح تحويل كل شيء ضمن ذلك الإنسان، إلىٰ وسيلة. ومن ثم فهناك فارق ضخم بين الإبادة (الحديثة) وبين المذابح وأعمال الجنود في المجتمعات التقليدية القديمة.

توظيف الإبادة

تتسم المجتمعات اليهودية بمقدرتها الفائقة علىٰ الاستفادة من كل شيء، دون أي اعتبار لأي قداسة أو محرمات، وحدث الشيء نفسه بالنسبة لأكذوبة الإبادة. وتبدأ عملية توظيف الإبادة علىٰ يد الصهاينة بمحاولتهم فرض معنىٰ صهيوني ضيق عليها باعتبارها جريمة العصر التي ارتكبها الألمان والأغيار ضد اليهود فحسب. ثم تُعطي واقعة الإبادة مكانة محورية في تاريخ أوربا وتاريخ العالم كله. ولذا صدرت عشرات الأفلام والدراسات والأعمال الفنية لحفر الإبادة في الذاكرة باعتبارها واقعة حدثت لليهود وحدهم، وبالوقت نفسه ترفض الصهيونية الاعتراف بكل ضحايا الحرب

العالمية الخمسين مليوناً. لأن التحدث في شأن أولئك الضحايا سوف يؤدي إلىٰ فقدان الصهيونية للورقة الرابحة الوحيدة التي امتلكتها بطريقة تلاعبية واحتيالية. وإلىٰ الكشف عن حقيقة أنها ورقة رابحة كان امتلاكها بفضل أكذوبة كبيرة.

وقد دخلت دراسة الهولوكوست عشرات الجامعات والكليات الأمريكية، وأُقيمت نصب تذكارية للإبادة بالعبرية والإنجليزية في واشنطن ونيويورك ولوس أنجلوس وغيرها. وأنشأت الحكومة الأمريكية المجلس الأمريكي للتذكير بالإبادة، وتم إنشاء متحف تُخلَّد فيه ذكرىٰ الإبادة النازية في واشنطن بجوار المتاحف القومية الأمريكية. وباسم الإبادة، حاولت المؤسسة الصهيونية التدخل (دون نجاح كبير) في انتخابات الرئاسة في النمسا عام 1986، واعترضت بشدة (دون نجاح مرة أخرىٰ) علىٰ زيارة الرئيس الأمريكي ريجان لمقبرة بتبرج الألمانية التذكارية لمجرد أن بعض المدفونين فيها من رجال قوات الصاعقة النازية.

وفي الستينيات من القرن الماضي قامت إسرائيل بملاحقة العلماء الألمان المتعاملين مع مصر عبد الناصر، وقامت باغتيال بعضهم، وربطت تعاملهم مع المصريين بأسطورة الإبادة بل واعتبرت أن الألمان جاؤوا إلىٰ المنطقة لإبادة اليهود مرة ثانية. وفي محكمة أوروبية أقيمت للحكم بالشكوىٰ التي رفعتها إسرائيل قال المدافع عنها بأن الألمان يقومون في مصر بصناعة قنابل غازية سامة تكفي لتغطية سماء إسرائيل تماماً وإبادة كافة سكانها.

ومن أهم أشكال توظيف الإبادة لصالح الصهيونية هو استخدامها كسحابة كثيفة لتبرير الفظائع التي ارتكبتها وترتكبها الدولة الصهيونية ضد الفلسطينيين. كما تُوظَّف الإبادة في جمع التعويضات التي تمول الكيان الاستيطاني الصهيوني (بلغ حجم التعويضات الألمانية وحدها 70 بليوناً من الدولارات في 35 عاماً). ومن المعروف أن هذه التعويضات التي تلقتها الدولة الصهيونية أنعشت الاقتصاد الإسرائيلي، ومكنت الدولة الصهيونية من شراء مزيد من الأسلحة وبناء المستوطنات. التعويضات تعني في

واقع الأمر، حصول إسرائيل (وبعض أعضاء الجماعات اليهودية) علىٰ مقابل مالي تعويضاً عن الآلام التي لحقت بهم ففي موقف مماثل أظهرت الصين موقفاً أخلاقياً وحضارياً حين رفضت أن تتقاضىٰ تعويضات مالية من اليابان علىٰ جرائمها ضد الصينيين باعتبار أن قبول التعويضات فيه تنازل عن الحق الأدبي، وفيه تخلٍّ عن المنظور الأخلاقي (المطلق) حيث تتحول القضية إلىٰ ما يشبه المقايضة . وهنا وبالمقارنة مع الموقف الصيني نكتشف لا أخلاقية ولا إنسانية الكيان الصهيوني.(46)

حالات استثنائية تكشف الأكذوبة

وإن وجود الحالات الاستثنائية والانتقائية في اختيار المتعامل معه عند الصهاينة يكشف عن زيف الادّعاء اليهودي بأن المحرقة قدس يهودي لا يمكن غض النظر عنه. ويكشف بوضوح بأنه ليس في العقيدة السياسية اليهودية تابو مقدس اسمه هولوكوست بل توجد مصلحة تسمح بكل الممنوعات. فإسرائيل جنّ جنونها عندما قام كورت فالدهايم بترشيح نفسه للانتخابات الرئاسية في النمسا، وبالوقت نفسه أقامت علاقات قوية ومميزة مع رئيس وزراء جنوب أفريقيا الذي يعترف بعلاقاته القوية السابقة مع النازيين. وفي هذا التناقض الصهيوني دليل علىٰ اقتناع الساسة الصهاينة أنفسهم بأنهم صنعوا أكذوبة وخديعة ليستفيدوا منها لا لأن يخسروا فرص الاستفادة من ظروف تناقض مبدأ الأكذوبة. ففي موقفهم من فالدهايم كانت حجة ارتباطه بالنازية ذريعة وكان عملهم ضده يهدف منع العرب من تحقيق الاستفادة من علاقتهم مع رئيس نمساوي مقبل أعلن عن تعاطفه مع العرب وعن استنكاره لسياسة الإرهاب الصهيوني. وفي موقفهم من بلثازا فولستر كانوا يريدون مكاسب لا تعوض من دولة متطورة في الصناعات الحربية، وقد غضّوا النظر عن علاقاته بالنازية لأنهم هم أنفسهم كانوا أصدقاء حميمين للنازية نفسها.

فإن عملية توظيف الإبادة تتم من منظور نفعي مادي انتقائي محض لا علاقة له

بالقيم الأخلاقية. وفي هـذا الإطـار تطـرح قـضية علاقـة الدولـة الـصهيونية مـع بعـض الشخصيات والدول التي كانت لها علاقة بالنظـام النـازي. إذ لا تُمـانع إسرائيـل البتـة في توثيق علاقتها مع بعض حكومات دول أمريكا اللاتينية التي تأوي مجرمي الحرب النازيين (الذين تزعم إسرائيل أنها تطاردهم في كل زمان ومكان!) مادام هذا يخدم مصلحتها.

وقد تعاونت إسرائيل مع حكومة جنوب أفريقيا العنصرية التي كانـت معروفـة بتعاطفها الكامل مع النظام النازي. وقامت باستضافة رئـيس وزراء جنـوب أفريقيـا، بلثازا فورستر، وهو جنرال سابق في الحركة الوطنية في جنوب أفريقيا الموالية للنـازيين والتي كانت تقاوم المجهود الحربي للحلفاء، وقـد اعتُقـل لمـدة عـشرين شـهراً بـسبب اشتراكه في المقاومة.

ورغم مرور عشرات السنين إلّا أنه لم يُنكر موقفه الموالي للنازية. وقد سمحت له الحكومة الصهيونية بوضع إكليل من الزهور علىٰ ياد فاشيم وهـو النـصب التـذكاري المقام لضحايا الإبادة النازية لليهود، الأمر الـذي دفـع جريـدة الجيروسـاليم بوسـت (الصهيونية) إلىٰ الاحتجـاج وإلىٰ الإشـارة إلىٰ الحقيقـة البدهيـة التـي تغاضـت عنهـا إسرائيل وهي أن اليهود ينبغي علـيهم ألا يرتبطـوا بأحـد المؤيـدين الـسابقين للنازيـة ويذكر أن الكيان الصهيوني أقـام آنـذاك تعاونـاً عـسكرياً واتفاقيـات تبـادل خـبرة في الصناعات العسكرية، إضافة لتبادل صفقات الـسلاح بـين البلـدين. وأغـرب مـا في الأمر أن إسرائيل كانت في وقـت مـن الأوقـات الدولـة الوحيـدة الـصديقة لحكومـة جنوب أفريقيا العنصرية المنبوذة في العالم كله.

تناقض صهيوني بشأن تكرار الإبادة

تحاول الدعاية الـصهيونية توظيـف واقعـة الإبـادة في تعبئـة أعـضاء الجماعـات اليهودية (باعتبارهم الضحية الوحيدة) . ولتحقيق هذا يحاول الصهاينة أن يجعلوا مـن الإبادة حجر الزاوية الذي تستند إليه الوحدة بين يهود العـالم في إسرائيـل وخارجهـا.

obeikandl.com

فالإبادة، بعد فرض المعنىٰ الصهيوني عليها، تنهض دليلاً علىٰ رفض العالم لليهود، وعلىٰ أن الأغيار يتربصون دائماً بالضحية وهي اليهود جميعاً، ومنهم الأحياء ومنهم أولئك الذين قدّموا قرباناً علىٰ المحرقة. وهذا تأكيد للمقولة الصهيونية الخاصة بأزلية معاداة الأغيار لليهود وحتميتها، ومن ثم يتعيَّن علىٰ يهود العالم الهجرة إلىٰ الوطن القومي.ومن بقي منهم خارجها فتوجب عليه وفق هذا المفهوم أن ينضم بجهوده وقدراته كلها إلىٰ الكيان الصهيوني لأنه مستهدف حسب أدبيات الإبادة، ولأنه الضحية التي يريد العالم كله أن يحرقها ويبيدها.

ولكن يهود العالم مع هذا، يتصرفون علىٰ أساس أن الإبادة أمر مستحيل الوقوع مرة أخرىٰ، وهم يستندون علىٰ اعتقادهم هذا بإسناد الحادثة إلىٰ التوراة وإلىٰ وعود الرب لهم. فعندما اعتبروا أن الإبادة هي نهاية التاريخ اليهودي وأنها هدم هيكل الرب وأنها تحقيق وعد الرب بإعادتهم إلىٰ فلسطين وعندما تمادىٰ آخرون بتصريحهم بأن دور الرب قد انتهىٰ بعدما أعاد شعبه المقدس إلىٰ أرضه المقدسة، إن تلك الاعتقادات تعني أن الإبادة حدث توافق مع النصوص والعقيدة التوراتية، وبالوقت نفسه فإن تلك النصوص والعقائد تعتبر ذلك هو يوم الميعاد الذي قطعه الرب لشعبه، والذي يعادل يوم القيامة عند المسلمين.إذاً فلا يمكن أن يكون هناك يوم ميعاد ثانٍ ولا يمكن أن تتكرر كل الأحداث الموعودة ولذلك فالعقيدة اليهودية تقر بأن الإبادة لن تتكرر.

وبالوقت نفسه تكشف السياسة الإسرائيلية والتصريحات الصهيونية السياسية المستمرة عن خشية دائمة عند اليهود من تكرار الإبادة علىٰ أيدي العديد من شعوب العالم. وكان آخرها إعلان خشيتهم من إيران ومحاولاتهم التي لا تتوقف في تحريض دول العالم عليها. فقد زعم شيمون بيريس بأن إيران تحضّر إلىٰ هولوكوست جديد. وهنا تتلاعب إسرائيل بالمفاهيم وتحاول الاستفادة من أكذوبة المحرقة والإبادة في السرّاء والضرّاء، ففي كل سنة تقريباً نسمع عن إطلاق الصهاينة لاسم شعب وحكومة تتربص بهم وتسعىٰ لإبادتهم. وقد اتهمت بذلك الفلسطينيين واللبنانيين

والمصريين في عهد عبد الناصر وثم العراقيين في زمن حكم صدام حسين حين قامت بتدمير مفاعله النووي. وهي علىٰ الدوام تتهم السوريين بامتلاك أسلحة متطورة. وبعد العام 1995 بدأت تتهم جماعة القاعدة بالعمل علىٰ إبادة إسرائيل. وفي العام 2006 بدأت تتهم الإيرانيين. واستجابة لرغبات إسرائيل، حشدت الولايات المتحدة بوارجها وعتادها حول إيران وكادت تشعل حرباً كبيرة لانهاية لها.

وتربط إسرائيل اتهاماتها دوماً بذكرىٰ الإبادة النازية، وكل ذلك يكشف عن سياسة هدفها الإفادة من فكرة الإبادة، وكأن الصهيونية تقول (نحن صنعنا الإبادة لنحقق منها الفائدة لأنفسنا ولن نسمح لغيرنا بالإفادة منها. وبالوقت نفسه فلن نفوّت علىٰ أنفسنا فرصة تحقيق أية فائدة إذا اضطرنا ذلك لمخالفة القيود الصارمة لموضوع الإبادة) فقد وضعت إسرائيل والمنظمات الصهيونية العالمية قيوداً صارمة تمنع بموجبها مناقشة أو مخالفة معايير فكرة الإبادة، لكن كما يتضح لنا فإن تلك المعايير تلزم الآخرين التقيد بها ولا تلزم إسرائيل نفسها.

قبل الإبادة وبعد الإبادة

ويحاول الصهاينة تقديم قراءة كاملة لما يسمونه «التاريخ اليهودي» بحيث تصبح الإبادة أهم معلم فيه، فيُقال «**قبل الإبادة** »و«**بعد الإبادة**»، تماماً مثل استخدام مصطلح قبل التاريخ وبعد التاريخ، أو المصطلح التوراتي قبل الخروج وبعد الخروج أو «قبل هدم الهيكل» و«بعد هدم الهيكل». وعندما يُشار للإبادة بأنها «حُربان» وهي كلمة عبرية تستخدم للإشارة إلىٰ «هدم الهيكل» تأخذ الإبادة معنىٰ آخر وهو هدم الهيكل للمرة الثالثة حسب الاعتقاد اليهودي، الأمر الذي يدخل اليهود في دورة جديدة من أدوار التاريخ اليهودي المقدَّس.

لاهوت الإبادة حدث مطلق

إن كافة اليهود المؤيدين لحدوث الإبادة يعتبرونها حدثاً دينياً يأخذ بعداً توراتياً، ويتعلق بوعود الرب ليهوده وبأعماله التي يعجز البشر عن فهمها. وان تأطير أكذوبة الإبادة ضمن العقائد اليهودية الخاصة بهم جعلتهم يفرضون علىٰ الآخر المسيحي والمسلم عدم التدخل بأمور عقيدية مقدسة عند اليهود وبالتالي عدم مناقشة الإبادة والمحرقة، ويذهب بعض المفكرين الدينيين اليهود إلىٰ ما هو أبعد من ذلك؛ فيعتقدون أن الإبادة غيَّرت من النسق الديني اليهودي ذاته. ولذا، فإنه من الضروري، حسب رأيهم، الحديث عن لاهوت ما بعد آوشفيتز ، أو لاهوت الإبادة. ولاهوت الإبادة هذا يرىٰ حادثة الإبادة باعتبارها حدثاً مطلقاً لا يمكن فهمه، ويتعلق هذا الحدث بأسرار الرب وأعماله. ولأنه سرّ رباني فيجب أن تكون أكثر الحوادث أهمية وقداسة عند اليهود، ويصبح الشعب اليهودي هو المسيح المصلوب.وينادي هؤلاء المفكرون بحتمية أن تصبح الإبادة هي المرجعية الأساسية لليهود، وهذا ماحدث بالفعل. ومن ثم ضرورة مناقشة مدىٰ عدالة الرب أو عدم عدالة الرب الذي سمح بحدوثها، ثم مناقشة الرب نفسه. وطرح التساؤلات حوله: وهل هو رب خيِّر أم شرير؟، وهل يتدخل في التاريخ بمنحه الغرض والغاية أم يترك التاريخ في حالة فوضىٰ كاملة؟ وعندما اتهمه بعضهم بالتغاضي عن إبادة اليهود قاموا بعزله وتحييده، فأصبحت اليهودية بدون رب في هذه المرحلة،ولم تعد بحاجة لوجوده في المستقبل عند المنظّرين الآخرين.

كما أن البقاء؛ أي بقاء الشعب اليهودي يصبح هو المطلق الوحيد الذي يَجُبُّ سائر الاعتبارات الأخلاقية الأخرىٰ ويصبح النقطة المرجعية النهائية الوحيدة عند الصهيونية. وبذلك يصبح بقاء إسرائيل ضرورة تسمح للصهيونية بقتل نصف البشرية مقابلها. فبقاء إسرائيل وتقديسها لا يعني إمكانية إبادة الفلسطينيين أو العرب فحسب بل يعني أيضاً إمكانية إبادة الصين أو روسيا أو إيران أو أية دولة غربية إذا اقتضت الضرورة. لأن بقاء إسرائيل مقدس عند اليهودية، ولأنه هو المطلق الوحيد

Obeikandi.com

في هذا الكون.ويساعد التركيب الجيولوجي لليهودية علىٰ السماح بإفراز مثل هذه الأفكار وإعطائها قسطاً من الشرعية. فاليهودية تستهين بصفات الرب وتجعله مشابهاً للإنسان. ثم تجعله هو نفسه الشعب اليهودي وهو نفسه دولة إسرائيل، وبقاء إسرائيل هو بقاء الرب. ولذلك حرصت إسرائيل علىٰ امتلاك السلاح النووي. وهي جادة جداً في استخدامه في أية لحظة تاريخية.بل إنها الدولة العالمية الوحيدة التي تسمح لنفسها باستخدامه حين تتعرض مصالحها للخطر وهذا ما يفسّر لنا أحداثاً تاريخية كثيرة تتعلق بالحروب العربية الإسرائيلية.

ومما يجدر ذكره أن الجماعات الأصولية ذات التوجه الصهيوني المسيحي الواضح ترىٰ أن الإبادة هي بالفعل دليل علىٰ أن الرب قد هجر اليهود بسبب الذنوب التي اقترفوها ويذهب بعض المفكرين الدينيين اليهود (الأرثوذكس) إلىٰ أن الإبادة ذات مغزىٰ ديني عميق، فيرىٰ بعضهم أن إبادة اليهود هي هدم الهيكل الثالث وأن هتلر هو ذراع الخالق وأداته في حرق اليهود، كما يذهبون إلىٰ أنهم بمثابة الماشيَّح المذبوح الذي سيُولَد العالم من جديد بعد ذبحه.

ويطرح آخرون رأياً مغايراً لهذا، إذ يذهب بعض الحاخامات مثل مناحم هارتوم وإليعازر شاخ، الأب الروحي لحزبي شاس و ديجيل هاتورا إلىٰ أن الإبادة لها حقاً مغزىٰ ديني ولكنها عقاب علىٰ خطيئة اليهود لابتعادهم عن تنفيذ الأوامر والنواهي، وسوف يقوم الإله بتدميرهم مرة أخرىٰ إن لم يندموا ويعودوا عن طريق المعصية.

وإن كل تلك التفسيرات تفرض حصر مناقشة الإبادة ضمن حدود العقيدة اليهودية وبالتالي فلن تسمح للآخرين بمناقشتها وإلّا فسوف يعتبر الأمر تدخلاً في شؤون العقيدة اليهودية، أي جعله عملاً طائفياً ولا سامياً وقد جعلت المؤسسة العسكرية الخوف من الإبادة أحد أسس الإستراتيجية الصهيونية، فقد أشار كل من أبا إيبان ورابين إلىٰ حدود إسرائيل قبل عام 1967 بأنها حدود آوشفيتز .

وهناك قدر كبير من الادعاء في هذه التشبيهات وصل إلىٰ قمته حينما قال مناحيم بيجين:

ياسر عرفات حينما كان مُحاصَراً في بيروت يشبه هتلر في مخبئه،

وفي هذا تزييف كامل للحقائق وتمسّح بالمحرقة، وهذه هي عقلية العنصري الفاشي الذي يشعر دائماً بأنه مكروه ومضطهد، حتىٰ حينما يقوم بتدمير الآخرين. وفي هذا الصدد يذكر بأن اغتيال ياسر عرفات وتضليل التحقيق الطبي في سرّ موته هو واحد من سلسلة أعمال الإبادة الصهيونية. إذ قام الصهاينة بتهديده بالقتل علناً وبوضوح، وجاء بعدها تسميمه لإزاحة عقبة كبيرة في طريق إسرائيل.

الاستثمار التام للإبادة

الاستثمار التام للأضحية التي يقدمها اليهود للرب هو حقيقة وعقيدة، فالرب يأمرهم بأن تحرق الأضحية حرقاً تاماً بحيث لا يبقَ منها إلَّا الرماد الحيواني. ولا تتحقق الإبادة إلَّا عندما يخرج الرماد، أي عندما يتم استثمار الإبادة تماماً. وبالعقيدة نفسها وبالطريقة نفسها قام الصهاينة باستثمار أسطورة الإبادة النازية تماماً وكلياً، ولم يتركوا مجالاً واحداً لم يستثمرونه من خلالها. فقد استفادوا من الإبادة في كافة المجالات كما رأينا. وإن كل ما صدر من مصطلحات تتعلق بالإبادة ومفاهيم ومعتقدات إبادية كل ذلك كان استثماراً تاماً للأكذوبة الصهيونية، وقد حصر الصهاينة كل تلك الاستثمارات لنفسهم ولذاتهم الصهيونية فحسب، لأنهم هم أصحاب تلك الصناعة التاريخية. وذلك المصطلح التدميري الهائل. ولم يحصد أبناء الغرب والشعوب الأخرىٰ من تلك الأكذوبة إلَّا المآسي والأضرار الكبيرة في كافة المجالات: (البشرية والإنسانية والنفسية والاجتماعية والسياسية والدينية والمالية وغيرها.)

ويحاول الصهاينة باستمرار احتكار دور الضحية لليهود وحدهم دون غيرهم من الجماعات أو الأقليات أو الشعوب، بحيث تُصوَّر الإبادة النازية المزعومة باعتبارها جريمة موجهة ضد اليهود وحدهم. ولهذا يرفض الصهاينة والمدافعون المسيحيون عن الموقف الصهيوني أية محاولة لرؤية الإبادة النازية باعتبارها تعبيراً عن

نمط تاريخي عام يتجاوز الحالة النازية والحالة اليهودية. كما يرفض الصهاينة تماماً محاولة مقارنتهم بالمسيحيين البولنديين الذين قتلوا علىٰ أيدي النازيين علىٰ سبيل المثال، أو بسكان أمريكا الأصليين الذين أبيدوا علىٰ يد الإنسان الأبيض أو ما يحدث للفلسطينيين واللبنانيين علىٰ أيديهم هم أنفسهم.

إن عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية من جميع الشعوب الأوربية بلغ خمسين مليوناً. وأظهر معرض لحكومة بولندا كان يطوف أمريكا عام 1986 أن أكبر معسكرات الاعتقال هو آوشفيتز. وأن التركيز النازي كان أساساً علىٰ البولنديين والاشتراكيين واليهود والغجر (بهذا الترتيب التصاعدي حسب المعرض المؤيد للإبادة)

ويذهب الصهاينة أبعد من ذلك إذ توحي الأدبيات الصهيونية بأن العالم كله تجاهل اليهود وتركهم يلاقون حتفهم ومصيرهم وحدهم. وهذا ما قاله بنيامين ناتان ياهو وكثير من الصهاينة.

بل إن الصهيونية تتجاهل الكثير من الشواهد التاريخية التي تبرئ الألمان وتركز علىٰ ما تعتبره جرائم إبادة.

ولكن التاريخ يثبت بأن البعض كان قد ساعد اليهود وأواهم كما حدث في بلغاريا (خصوصاً بين أعضاء الجماعة الإسلامية) وفي الدانمارك وفنلندا ورومانيا وإيطاليا وهولندا. وهذا ما تتجاهله الصهيونية تماماً. كما وتتجاهل العلاقة الفكرية والفعلية بين النازية والصهيونية والزعامات الصهيونية التي تعاونت مع النازيين قبل الحرب وخلالها.

وتكاد لا تذكر أبداً حقيقة أن جنوداً يهوداً كانوا يخدمون في الجيش النازي طوال أيام الحرب العالمية.

والحقيقة أن كل الدلائل تشير إلىٰ اليد الصهيونية في ابتداع أكذوبة الإبادة، فاحتكار الإبادة لنفسها دون غيرها وعدم اكتراثها بكافة ضحايا الحرب العالمية يعني أنها تمكنت من اختراع أكذوبة نشبهها هنا بأداة نافعة لها وأنها احتكرت تلك الأداة النافعة وتلك

الصناعة لنفسها، ولن تسمح لأحد بأن يستفيد من إنتاج أداة مماثلة لها أيضاً.

وبالوقت نفسه فإن تجاهل الصهيونية لحقائق تاريخية شديدة الأهمية يأتي من خشيتها بأن يؤدي البحث في تلك الحقائق إلىٰ كشف الأكذوبة المزعومة. وبالتالي تفقد إسرائيل عالمياً ويهودياً شرعيتها كدولة. وتفقد الديانة اليهودية كلها وجودها. وسوف يؤدي ذلك إلىٰ تشتت اليهود واضمحلالهم نهائياً وذوبان قوميتهم إلىٰ الأبد.

أوروبيون يرفضون احتكار الهولوكوست

بدأ تحدي الاحتكار الصهيوني للإبادة من الكنيسة الكاثوليكية التي أعلنت المواجهة حين قامت بتنصيب الأخت تريزا بنديكتا قديسةً. والأخت تريزا هي إيديث شتاين سكرتيرة الفيلسوف الألماني مارتن هايدجر، وكانت يهودية. وتنصرت وتكثلكت ثم ترهبنت، وقد قتلت في ظروف غامضة. ويُصر الصهاينة علىٰ أن سبب قتلها هو كونها يهودية بينما تتحدىٰ الكنيسة القرار اليهودي، وترىٰ الكنيسة أنها راهبة كاثوليكية استُشهدت من أجل عقيدتها المسيحية فحسب. وخلف تلك التصريحات كمنت اتهامات غير معلنة لليهود أنفسهم، إذ كان من الممكن قيامهم بقتلها بسبب تنصرها وتخليها عن الديانة اليهودية وانتقاداتها المعلنة للسلوك اليهودي وللقيادات الصهيونية في ألمانيا. والحادثة الثانية هي الخاصة بدير الراهبات الكرمليات في آوشفيتز، الذي طالب اليهود بإزالته وتمسكت المؤسسة الكاثوليكية في بولندا بالإبقاء عليه. وقد قامت معركة إعلامية ساخنة بين الطرفين. وحول هذه الأزمة كتب **باتريك بيوكانان** وهو الصحفي والمرشح الجمهوري في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 1996 احتجاجاً علىٰ هذا الموقف في مقال بعنوان: **الكاثوليك ليسوا بحاجة إلىٰ محاضرات في الأخلاق من سفاح عصابة شتيرن السابق** جاء فيه: **وفي متحف المذبحة النازية، هناك ثلاثة ملايين يهودي بولندي سيظلون في الذاكرة، ولكن ماذا عن ثلاثة ملايين تقريباً من الأوكرانيين والصرب والليتوانيين والمجريين واللاتفيين**

والإستونيين، نُحروا في ساحات القتل علىٰ أيدي الوثنيين العنصريين في برلين وعلىٰ أيدي الملحدين المتعاونين معهم في موسكو؟ وما الذي يتطلبه الأمر حتىٰ يكون المرء ضحية من الدرجة الأولىٰ؟ فإذا كانت ذكرىٰ الضباط اليهود الذين ماتوا إلىٰ جانب إخوانهم الكاثوليك في كاتين قد خُلدت بنجمة داود، فلماذا لا يتم تخليد ذكرىٰ المليون كاثوليكي الذين أفنُوا في آوشفيتز بصليب؟ وإذا كان التذكار حيوياً، فلماذا يُستثنىٰ المسيحيون؟. (48) ومن ثم، فإن احتكار الصهاينة للهولوكوست ليس له ما يبرره في الواقع التاريخي. والسياسي بل انه شاهد علىٰ تسخير حدث مزعوم لفائدة اليهود وحدهم.

اليهود والكنيسة الغربية

لم تكن المسيحية الغربية تمتلك مفهوماً واضحاً خاصاً بالأقليات في المجتمع الغربي ولم تُشرِّع لهم ولم تحدد وضعهم القانوني، بل اكتفت بمفهوم المحبة إطاراً عاماً للتعامل معهم. وقد صنَّفت الكاثوليكية الغربية اليهود باعتبارهم شعباً شاهداً، يقف في تدنيه وضِعَته « شاهداً » علىٰ عظمة الكنيسة وانتصارها. ولم يكن الأمر مختلفاً كثيراً علىٰ المستويين الاجتماعي والاقتصادي، حيث تحوَّل اليهود إلىٰ جماعة وظيفية، وهي جماعة تُعرَّف في ضوء وظيفتها وفائدتها ونفعها،وتصبح مادة استعمالية لا قداسة لها.

وهذه الرؤية تعني احتواء اليهود، ولكنها في الوقت نفسه تعني ضرورة الحفاظ عليهم وحمايتهم من الهجمات الشعبية. فالكنيسة الكاثوليكية كانت تحتاج إلىٰ هذا الشاهد الأزلي علىٰ عظمتها. كما أن الطبقات الحاكمة (النبلاء الإقطاعيون والملوك) كانت في حاجة إلىٰ اليهود كأداة طيعة من أدوات الاستغلال وامتصاص فائض القيمة من الجماهير.

وكان يُطلَق علىٰ اليهود كلمة الإسفنجة ، لأنهم يمتصون فائض القيمة من الجماهير ثم يقوم الحاكم الإقطاعي باعتصار ما جمعوه من ثروة من خلال الضرائب .

ولذا، وعلىٰ عكس ما يتصور البعض، كان العداء لليهود حركة شعبية موجهة ضد الطبقات الحاكمة وضد الكنيسة الذين هم رمز اليهود ودعامته وحاميه ، وكانت الكنيسة الكاثوليكية ومعها النبلاء هم حماة اليهودية بل والمدافع عنها من تحديات المواطنين المسيحيين.

هذه هي حالة اليهود في الغرب، ومنها يمكن تفسير سبب العداء الغربي لليهود، وسبب تصميم الغرب علىٰ تهجير اليهود والتخلص منهم. ولم تكن مشاريع النازية التهجيرية إلَّا تعبيراً عن رغبة الأوروبيين عموماً في التخلص من اليهود.

البروتستانتية تنادي بترحيل اليهود

ومع ظهور عصر النهضة وبداية التشكيل الحضاري الغربي الحديث بشكل جوهري وظهور البروتستانتية التي رفضت فكرة الشعب الشاهد تغير الموقف من اليهود. إذ تبنت البروتستانتية بدلاً من عقيدة الشاهد، العقيدة الألفية الاسترجاعية التي ترىٰ أن المسيح سيعود مرة أخرىٰ للأرض ويؤسس مملكته علىٰ الأرض لمدة ألف عام، وكان كل هذا مشروطاً بعودة اليهود إلىٰ أرض الميعاد وتنصيرهم.

وفي هذه البدعة الجديدة ظلّ اليهودي مجرد أداة في يد المسيحية كما هو الحال في الرؤية الكاثوليكية ، وبالوقت نفسه تولّد الرابط الكبير والمتين بين الديانتين اليهودية والمسيحية. وهذه هي اللحظة التاريخية الحاسمة التي استطاع اليهود فيها غزو الكنيسة والعقل الديني المسيحي.

وهذه الأداة اليهودية التي تم اكتشافها آنذاك لا يتم الحفاظ عليها وإبقاؤها داخل المجتمع المسيحي الغربي. وإنما لابد من نقلها إلىٰ فلسطين أرض الميعاد التوراتية. وكان هذا النداء الديني يتوافق مع البدعة البروتستانتية الجديدة ومع الحلم اليهودي القديم. ولذلك فقد كان مشروعاً يهودياً بحتاً توافق عليه الكنيسة الغربية لأنه يخلصها من أعباء اليهود الكبيرة، وقد استطاع اليهود الذين يمتلكون نفوذاً كبيراً

لدىٰ السلطة الحاكمة ولدىٰ الكنيسة، استطاعوا آنـذاك تحمـيلهم المـشروع اليهـودي، والمسألة اليهودية والدفاع عنها.

ترحيل اليهود عن أوروبا

تزامنت المطالب بترحيـل اليهـود مـع ظهـور البورجوازيـات المحليـة والدولـة القومية التي اضطلعت بكثير من وظائف الجماعة الوظيفية اليهوديـة التـي لم يعـد لهـا نفع. ولذا، كانت المسألة اليهودية في أوربا عموماً تُناقش في إطـار مـدىٰ نفـع اليهـود، فكان أعداء اليهود يبيّنون بأن لا فائدة لهـم في أوطـان الغـرب، أمـا المـدافعون عـنهم ومنهم المتحدثون باسم اليهود فكانوا يركّزون علىٰ فائدة اليهود ونفعهم. كـان هـذا في أوروبا عموماً وكان مشروع التخلص من اليهود مشروعاً أوروبياً ينـاقش داخـل كـل دولة في نهاية القرن التاسع عشر ومع بداية القرن العشرين.

ولم يكن ذلك المشروع مقتصراً علىٰ ألمانيا وحدها. وهذا مـايبرر وجـود الوثـائق الحكومية النازية التي تتحدث عن مشروع الحل النهائي لليهـود . وقـد عمـل الحلفـاء بمقتضىٰ المشروع نفسه عنـدما دعمـوا تهجـير اليهـود وإقامـة دولـة إسرائيـل.ومـنح الصهاينة وعد بلفور. وبمقدار ما كان هذا الوعد الشهير قاسياً وجريمة بحق العـرب الفلسطينيين فقـد كـان يعني بالنسبة للأوروبيـين إيجـاد حـل نهـائي لمـشكلة أبديـة ومستعصية هي مشكلة المواطن اليهودي.

وفي ألمانيا النازية طُرح تصور مفاده أنه يجب زيادة حقوق اليهود زيادة طردية مع زيادة نفعهم، فإن زاد الواحد زاد الآخر (وهو ما يعني أن تَناقُص نفعهم يعنـي تفـاقم مشاكلهم). وقد قُسِّم اليهود إلىٰ أقسام مختلفة تم تنظيمها بـشكل هرمـي. ففـي أعـلىٰ الهرم كان يوجد أكثر اليهود نفعاً، وهؤلاء كانوا يتمتعون بكافة الحقوق التي يتمتع بهـا أي مواطن ألماني، وفي قاعدة الهرم كان يوجـد اليهـود غـير النـافعين الـذين يُـصنَّفون ضمن من يجب التخلص منهم بترحيلهم عن ألمانيا كلها.

تسميم العقل الغربي بعقيدة الإبادة

بعد دراسة كافة الملابسات المرتبطة بالإبادة بات واضحاً لنا أن الإبادة كعقيدة ومفهوم وواقع ديني وعقيدي كانت ماثلة في الذهن اليهودي منذ بداية القرن التاسع عشر علىٰ الأقل. وإن اليهود أنفسهم كانوا يحضّرون وبالوقت نفسه ينتظرون حدوث أمر كبير لا يقلّ شأناً عن الإبادة التي تصوّروا حدوثها. لأنهم يتصورون بأن حادثة عظيمة كهذه ترتبط بيوم الميعاد اليهودي وبأفعال الرب ووعوده لشعبه، وأن تلك الأحداث هي الوحيدة القادرة علىٰ انتشالهم من حوثلتهم. ومن المقام الركامي الذي ظلّوا فيه طوال أربعة آلاف سنة علىٰ الأقل. وقد تنبأ الفلاسفة اليهود بمثل ذلك الحدث الرهيب وجرىٰ التحضير لطرحه بلا شك داخل الأوساط اليهودية، ومن المؤكد بأن هتلر كان قد اعتبر اليهود أحد المسببن لقيام الحرب العالمية الثانية، لقد كان النشاط الصهيوني في ألمانيا كبيراً، وعندما ظهر هتلر ساهم اليهود في توليد النزعة العرقية الألمانية، وتلك النزعة جعلته يخطط لتطهير العالم من الأعراق الفاسدة، فكانت الحرب الجحيم. وأراد اليهود الاستفادة من كل تلك الأحداث ومن ظروف الحرب. فاختاروا أن يكونوا الضحية الفائزة، والضحية المنتصرة، فكانت الأكذوبة المناسبة في الوقت المناسب. فقد ظهرت في أوروبا نزعة إبادية عامة علىٰ أيدي مفكرين وفلاسفة يهود. وكانت تلك النزعة تحمل عقائد تدميرية إبادية تتفق مع تصور اليهود للكون والمجتمعات وتختلف مع التصور المسيحي المتسامح. وقد ساهمت الظروف العامة في نشر تلك الأفكار والتصورات وشيوعها في أوروبا. ولكن العنصر الحاسم في ظهور النزعة الإبادية هو الرؤية الغربية الحديثة للكون. وقد اتسع نطاقها وازدادت هيمنتها إلىٰ أن أصبحت هي النموذج التفسيري الحاكم مع منتصف القرن التاسع عشر، عصر الإمبريالية والداروينية والعنصرية. ونلاحظ أن سمات ذلك القرن كلها تتفق مع الصورة اليهودية للكون والمجتمع، وفي الوقت نفسه فقد كانت كلها ذات مصدر يهودي بحت. فالعنصرية من نتاج اليهود والداروينية فلسفة يهودية

للوجود والامبريالية الاستعمارية وقد نتجت عن الاعتقاد اليهودي بضرورة السيطرة علىٰ الغير وإبادته واغتنام ثرواته.

فلسفة الإبادة

لقد بدأت هذه الرؤية بمرحلة إنسانية هيومانية وضعت الإنسان في مركز الكون وتبنت منظومات أخلاقية مطلقة، تنبع من الإيمان بالإنسان باعتباره كائناً مختلفاً عن الطبيعة/ المادة، وأنه سابقاً عليها، وله معياريته ومرجعيته وغائيته الإنسانية المستقلة عنها (وهذا شكل من أشكال العلمانية الجزئية). وإن هذه الفلسفة المرحلية تتفق مع المفاهيم اليهودية لعقيدتهم. ولذلك فقد تبنتها الصهيونية ظاهرياً.

ولكن هذه الرؤية الإنسانية المادية تطورت من خلال منطق النسق المادي الذي يساوي بين الإنسان والطبيعة ومن خلال تَصاعُد معدلات الحلولية والعلمنة وانفصال كثير من مجالات النشاط الإنساني (الاقتصاد ـ السياسة ـ الفلسفة ـ العلم) عن المعيارية والمرجعية والغائية الإنسانية إلىٰ أن فقد الإنسان مركزيته ومطلقيته وأسبقيته علىٰ الطبيعة/ المادة وتحوَّل إلىٰ جزء لا يتجزأ منها وأصبح هو الآخر مادة، منفصلة عن المرجعية والغائية والمعيارية الإنسانية وهذه هي العلمانية الشاملة. وفي هذا الإطار ظهرت الأخلاق النفعية المادية التي تُعفي الإنسان من المسؤولية الأخلاقية، فهي مستمدة من الطبيعة/ المادة ومن قوانينها المتجاوزة للعواطف والغائيات والأخلاقيات الإنسانية. ومن ثم تَحرَّر الإنسان الغربي من أية مفاهيم متجاوزة مثل مفهوم «الإنسان ككل » أو «الإنسانية جمعاء» أو « صالح الإنسانية »، كما تحرر من القيم المطلقة مثل «مستقبل البشرية» و « المساواة » و«العدل»، وجعل من نفسه المركز والمطلق المنفصل تماماً عن كل القيم والغائيات الإنسانية العامة، وأصبح هو نفسه تجسيداً لقانون الطبيعة ولحركة المادة وتحول إلىٰ مرجعية ذاته، وقانون ذاته، ومعيارية ذاته، وغائية ذاته، ومن ثم أصبح من حقه أن يحول العالم كله وجميع شعوب الأرض لخدمة صالحه كما عرَّفه هو. وبذا تحوَّلت الإنسانية (الهيومانية) الغربية إلىٰ

إمبريالية وأداتية ثم إلىٰ عنصرية، وثـم جـاء تقـسيم البـشر إلىٰ نـوعين وهمـا الإنـسان المسيطر والمهيمن والآخر المسيطر عليه :

- سوبرمان **Supermen** وهو الإنسان المسيطر والمستبد والإمبريالي الذي يحق لـه أن يتحكم في كل البشر والطبيعة.
- سبرمان **Subermen** وهذا الإنسان فرض عليه أن يبقىٰ دون البشر وهو أداتي ومن المفروض أن يذعن لإرادة السوبرمان ولقوانين الطبيعـة والمـادة. وهـذا مـايلخص نظرية النفعـية الداروينية وهي المنظومة التي تذهب إلىٰ أنه من يمتلك القوة له الحق في أن يوظِّف الآخرين لخدمة مـصالحه، فكـان يُشار إلىٰ البـشر باعتبـارهم «مـادة بشرية» يمكن توظيفها، أما من لا يمكن توظيفه فكـان يُـشار إليـه باعتبـاره «مـادة بشرية فائضة غير نافعة» وتـرد هـذه المـصطلحات (وغيرهـا) في كتابـات مفكـري العنصرية الغربية مثل الصهيوني مـاكس **نـوردو** وفي **الأدبيـات الـصهيونية** (كتـاب **هيرتزل** دولة اليهود).

وقد استمد كل من ماكس نوردو وهيرتزيل فلسفة الانتقائية والإبادة من العقيدة اليهودية نفسها بل إنهما لم ينتجا إلَّا شروحاً حديثة للنصوص التوراتية وفلسفة حديثـة مبنية علىٰ الأسس العقيدية اليهودية. فكان نتاجهما في الحقيقة نوعاً من الرؤية اليهودية الحديثة للمجتمع والكون.

وكان يتوجب علىٰ الغرب المسيحي ألا ينجرّ وراء تلك الفلسفة الإباديـة لأنهـا لم تكن تتماشىٰ مع عقيدته المسيحية الإنسانية.

وبالمقارنة مع ما أنتجه ابن رشد من فلسفة شارحة للإسلام ومتوافقة مع الإسـلام والمسيحية مستفيداً من نتاج الفكر اليوناني الغزير، نكتشف البون الواسـع بـين هـذين النتاجين. فقد ساهم ابن رشد في تطوير الفلسفة والمجتمع المسيحي وساهم في تعظـيم الإنسان ونشر قيم الإنسانية جمعـاء .وجـاء اليهـود ليهـدموا بعـض مابنـاه فيلـسوف الإسلام تحت شعارات فلسفية حديثة..

ونلاحظ أن كل المصطلحات الفلسفية اليهودية كانت تُضمِر البُعدين الإمبريالي والأداتي، الداروينى والبراجماتي، وجعلت الإنسان مادة تُوظَّف، وان كلاً من الذات الإمبريالية والموضوع الأداتي يدوران في إطار الرؤية المادية الواحدية. فالسوبرمان والسبرمان ينتميان إلىٰ عالم وثني حلولي كموني وما هذا العالم إلَّا يهودي توراتي. إذ لم يكن علىٰ الإطلاق من نتاج المسيحية المفعمة بالإنسانية ولا من نتاج الإسلام الذي هو موضوعه الإنسان.

إن الفكر الإبادي اليهودي والعنصرية تجاه الأغيار وعقيدة وجوب إبادة الأغيار كلها مصطلحات دينية يهودية تم تطويرها بعد عصر النهضة الأوروبي وجعلها مدارس فكرية وفلسفية ومذاهب وحقائق اجتماعية وبالحقيقة وللتاريخ نقول قام اليهود بتسميم العقل الأوروبي وتحميله مبادئ الإبادة والسوبرمان.

وبمقارنة بسيطة بين المصطلحات الغربية الطارئة علىٰ الإنسانية وبين ما يعادلها في نصوص العهد القديم نكتشف عمق اللعبة الصهيونية:

سوبرمان: يعني في المفهوم الغربي الحديث الإنسان الذي يستحق العيش والذي يحق له تدمير ممتلكات الغير وإبادة الغير واكتساب عمل وممتلكات وحقوق الغير لنفسه. وحسب العقيدة اليهودية فإن اليهودي وحده يستحق أن يعيش وتبيح له نصوص العهد القديم والشريعة التي يؤمن بها أن يقوم بإبادة الغير وبتدمير أملاكه ومحاصيله واغتنام أرضه وممتلكاته بل وإبادته وحرقه. ويعتبر الغير عند اليهود مادة غير بشرية ويجب التخلص منها وإبادتها. وإن كل العقيدة اليهودية تقوم علىٰ أساس أن اليهودي هو الذي اختاره الرب من بين البشر، أي أنه السوبرمان.

سوبرمان: وأصبح معناها في المصطلح الغربي الإنسان الوضيع الذي لا نفع منه ويجب إبادته أو اكتساب جهده. وإن صورة هذا التعريف نفسه نجدها في العقيدة والنصوص اليهودية، فكثير من تلك النصوص تعتبر غير اليهودي غير إنسان وتجمله مع البهائم وتحرّض اليهود علىٰ إبادته وتنظيف الأرض منه. وان اليهود قد صدّروا

obeikandl.com

هذا المعنىٰ منذ عصر النهضة واستطاعوا تسميم العقل الغربي به، وتضليله بـشعارات فلسفية وبمدارس فكرية. حتىٰ أصبح حقيقة إبادية في الحـربين العـالميتين وفي أفريقيـا وفي القارة الجديـدة.إذ اعتمـد العقـل الغـربي عـلىٰ هـذه المبـادئ أثنـاء قيامـه بـأعمال الإبادة.بل وكانت خاتمة كل تلك الأحـداث ادّعـاء اليهـود أنفـسهم بـأنهم تعرضـوا للإبادة وبالوقت نفسه قيامهم هم حين أصبح لهـم كيـان بـأعمال إبـادة مهوّلـة ضـد الشعب الفلسطيني وغيره من العرب والمسلمين.

وقد ظل هذا المفهوم للنفس البشرية وهـو الـسائد عنـد الغـرب حتـىٰ يومنـا هـذا، ونلاحظ ذلك في أعمال القتل العشوائي الذي يمارسه جنود الغرب في أفغانستان والعـراق وفلسطين.

ورغم تواري المصطلحات التي تُعبِّر عن المفهوم بـشكل متبلـور فـمازال العمـل بهذا المبدأ قائماً . ففي عام 1996 تكشفت فضيحة تخلي حكومة الولايات المتحدة عـن بعض عملائها من الفيتناميين ممن تم تجنيدهم ليعملـوا كجواسـيس لحسابها. وحتـىٰ يومنـا هـذا يخـرس الغـرب عـن كافـة أعـمال إبـادة الإنـسان التـي تتبعهـا إسرائيـل والأمريكيين: ففي العراق قذف المدنيون بقنابـل تحـوي يورانيـوم مخـصب وفي لبنـان أعلن خبراء بريطانيون أنهم اكتـشفوا اليورانيـوم المخـصب في مخلفـات القنابـل التـي رمتها إسرائيل علىٰ المدنيين اللبنانيين. وما هذا إلَّا تعبيراً عن مصطلح السوبرمان الذي يرىٰ في نفسه الحق في إبادة السبرمان.

وهذه هي النواة المعرفية والأخلاقيـة الأسـاسية التي كانت وراء ظهور أسطورة الإبادة، وقد تشكلت في العقل اليهودي الأوروبي آنـذاك.معتمـدة عـلىٰ أساسـين همـا النص والعقيدة اليهودية إضافة إلىٰ تسخير علم الاجـتماع الحـديث والفكـر الفلـسفي الذي ابتدعه فلاسفة وسياسيون يهود.

وأصبحت تلك نواة نمت وترعرعـت وعـبَّرت عـن نفـسها مـن خـلال ثنائيـة الإمبريالي والأداتي، والسوبرمان والسبرمان، فتزايدت معدلات اليقينية العلميـة مـن

ناحية، الأمر الذي أدَّىٰ إلىٰ تَزايُد إحساس الإنسان الغربي بذاته وبقوة إرادته ومقدرته علىٰ البطش. الأمر الذي أدَّىٰ إلىٰ ضمور حس الإنسان الغربي الخُلقي وضمور قدرته علىٰ اتخاذ القرار، كما عَمَّقت قابليته للإذعان للقانون الموضوعي العام المجرد (اللاإنساني) كقيمة مطلقة لابد من العمل بمقتضاها والسير بهديها دون تساؤل (خصوصاً بين الجماهير).وهذا يجيب علىٰ بعض التساؤلات التي يطرحها مواطنونا عن سلوك جنود الغرب في الحروب، أولئك الذين يقتلون بلا رحمة وبدون أسباب تدعو للقتل. ففي العراق أعلن مرات عديدة عن قيام جنود أمريكيين بقتل أبرياء عزل في بيوتهم، وما ذلك السلوك إلَّا من نتاج الفكر الإبادي الغربي.

ونتيجة ذلك وفي المجال الفلسفي تعاظم دور الإنسان الكامل السوبرمان الذي يتحكم في نفسه تماماً، ويبرمجها. وفي هذا المفهوم يتم الاستغناء عن الرب وعن وجوده. وكان اليهود أول من تبنوا في عقيدتهم تلك الأفكار.

ولكن حينما يُهيمن هذا المعيار يتم تأسيس الفردوس الأرضي، ولن ينتظر الفرد الغربي فردوس الله. وتُعلَن نهاية التاريخ والإنسان كما نعرفه وبالطبع كان المتطرفون اليهود أول من أعلن بوضوح كبير عن هذه الرؤية الخطيرة، فقد اعتبر بعض اليهود بأن حدث المحرقة كان نهاية التاريخ اليهودي ونهاية وجود الرب نفسه الذي لم يعد هناك مبرر لوجوده.. وأن ذلك الحدث إنما هو يوم الميعاد اليهودي وهو اليوم الذي ضربه الرب إلىٰ شعبه. وقد بررت هذه العقائد الجديدة للإنسان المتسمم بها أن يرتكب المجازر والمذابح وأن يرتكب كل المحرّمات ومن هنا كان انتشار ظاهرة الإباحية الجنسية علىٰ سبيل المثال التي أطلقها العقل المتطرف اليهودي وسمم بها العقل المسيحي الغربي. وضمن هذا الإطار ظهرت في الغرب أيديولوجيات علمانية شاملة (مثل الماركسية أو الاشتراكية العلمية والفاشية والنازية) ذات رؤية خلاصية تدور حول مطلق علماني مادي شامل، وتنطلق من الإيمان بالعلم والتكنولوجيا والتنظيم. لكنّ تَزايُد معدلات العلمنة الشاملة، وضع الغرب أمام معضلة جديدة فلم يَعُد من الممكن تصنيف البشر

علىٰ أساس ديني وبالوقت نفسه لم يكن ثمة مفر من تصنيفهم علىٰ أساس مادي موضوعي طبيعي كامن. وتلك المعضلة كانت تهدد اليهودية بالدرجة الأولىٰ وتؤدي إلىٰ اضمحلالها في المجتمع المادي العلماني. ومن هنا انطلقت الحلول اليهودية الصرفة وطُرح الأساس البيولوجي العرْقي أساساً وحيداً وأكيداً لتصنيف أبناء المجتمع. وكان هذا الطرح يتناسب مع اليهودية التي تعتبر العرقية واحدة من أهم أركانها. ومع تَصاعُد معدلات العلمنة ظهرت كذلك فكرة الشعب العضوي الذي تربطه بأرضه وثقافته رابطة عضوية حتمية لا تنفصم عراها. وقد جاء هذا المبدأ متفقاً أيضاً مع الصهيونية وتم قبوله في الغرب رغم أنه يخالف العلمانية الحديثة كلها، لأنه هو الذي سيبرر للصهاينة امتلاك أرض فلسطين باعتبارها الرابط العضوي لهم.

العقيدة اليهودية تبرر إبادة الهنود الحمر

وتُعدُّ العقيدة التطهرية ، عقيدة المستوطنين البيض في أمريكا الشمالية، هي أولىٰ الأيديولوجيات الإمبريالية الإبادية التي كانت تغطيها مفاهيم دينية يهودية . فكان هؤلاء المتطهرون يشيرون إلىٰ هذا الوطن الجديد باعتباره «صهيون الجديدة» فهي «أرض بلا شعب». وكان المستوطنون يشيرون إلىٰ أنفسهم باعتبارهم «عبرانيين»، وللسكان الأصليين باعتبارهم «كنعانيين» أو «عماليق» (وكلها مصطلحات توراتية إبادية، استخدمها معظم المستوطنين البيض فيما بعد في كل أرجاء العالم متجاهلين تماماً القيم المسيحية المطلقة مثل المحبة والإخاء. بل إن ظهور تلك المصطلحات التوراتية واليهودية يدل دلالة كبيرة علىٰ التواجد القوي للمنظمات الصهيونية في مجتمعات البيض الذين مارسوا الإبادة. وعلىٰ إن الإبادة نفسها كأداء كانت تتم وفق شرعية يهودية لا شرعية مسسيحية، وكانت الثمرة النهائية لعمليات الإبادة هذه هي ستة ملايين مواطن أصلي.